ماذا بعد الحج والعمرة

كتبته

د . نوال بنت عبد العزيز العيد

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العيد ، نوال عبدالعزيز

ماذا بعد الحج والعمرة / نوال عبدالعزيز العيد – الرياض.

١٤٢٧هـ

١٢٨ ص ١٧×٢٤سم

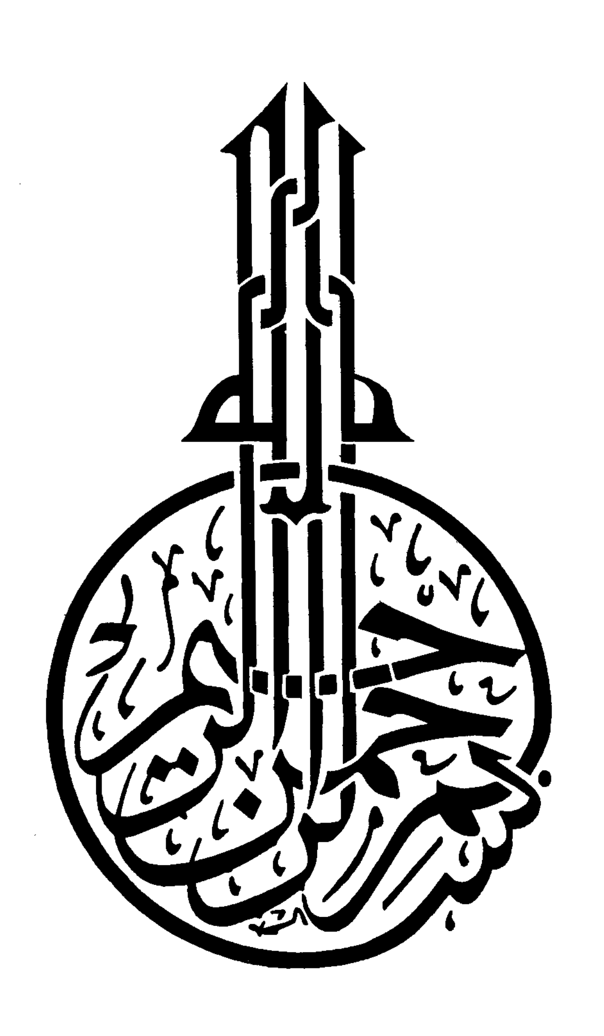
ردمك: ١-٦٣٣-٥٦-٩٩٦٠

١- الحج ٢- العمرة أ. العنوان

ديوي ٢٥٢,٥ ١٤٢٧/٥٦٨٧

رقم الإيداع ١٤٢٧/٥٦٨٧

ردمك: ١-٦٣٣-٥٦-٩٩٦٠



بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله أمّا بعد :

فأبارك لك توفيق الله لك إتمام مناسك الحج والعمرة، وأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، وأسأل الله العظيم أن يتقبل منك، وأن يتجاوز عنك، ويطيب لي في بداية الحديث أن أذكرك بفضل منسكك، وثواب حجك وعمرتك، جاء في الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» [(١)].

وعنه ﷺ : « الحجاج والعمار وفد الله دعاهم فأجابوه، وسألوه فأعطاهم» [(٢)]، وسئل رسول الله ﷺ : أي العمل أفضل؟ قال: «إيمان بالله ورسوله»، قيل: ثم ماذا ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله» قيل: ثم ماذا؟ قال: «حج مبرور» [(٣)]، وفي الحديث: « من حج فلم يرفث و لم يفسق

---

(١) البخاري (١٦٨٣) .

(٢) رواه البزار، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٠٧) .

(٣) البخاري (١٤٤٧) .

رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»[(١)].

وفي حديث ابن عمر قال رسول الله ﷺ : «إنك إذا خرجت من بيتك تؤم البيت الحرام، لا تضع ناقتك خفا، ولا ترفعه؛ إلا كتب الله لك به حسنة، ومحا عنك خطيئة.

وأما ركعتاك بعد الطواف كعتق رقبة من بني إسماعيل، وأما طوافك بالصفا والمروة كعتق سبعين رقبة .

وأما وقوفك عشية عرفة، فإن الله يهبط إلى السماء الدنيا فيباهي بكم الملائكة، يقول: عبادي جاؤني شعثا من كل فج عميق يرجون رحمتي، فلو كانت ذنوبكم كعدد الرمل، أو كقطر المطر، أو كزبد البحر؛ لغفرها، أفيضوا عبادي مغفوراً لكم، ولمن شفعتم له .

وأما رميك الجمار فلك بكل حصاة رميتها تكفير كبيرة من الموبقات.

وأما نحرك، فمدخور لك عند ربك .

وأما حلاقك رأسك، فلك بكل شعرة حلقتها حسنة، وتمحى عنك بها خطيئة.

وأما طوافك بالبيت بعد ذلك، فإنك تطوف ولا ذنب لك، يأتي

---

(١) البخاري (١٤٤٩) .

ملك حتى يضع يديه بين كتفيك، فيقول: اعمل فيما تستقبل، فقد غفر لك ما مضى»[(١)].

بل إن الرب جل وعلا، أمر بإجلالك، وعدم إحلالك قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾[(٢)].

فطوبى لك ميلادك الجديد، وتأمل "من حج فلم يرفث و لم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه" ومغفرة الذنوب، ولا شك أن حياتك لابد أن تتغير فأنت مولود يومك، فابدأ حياة جديدة ملؤها الإيمان، والتوحيد، والإخلاص، واجمع لي قلبك، أجمع لك ما ورد في الكتاب وصحيح السنة، وامنحني يديك فإني لأرجو أن أدلك على حياة هادئة سعيدة، ملؤها الإيمان، وافتح صدرك لتملأه دفئاً ومحبة وصدقاً، وارع سمعك لتصلح خطأك، وتحفظ ميلادك أبيض مشرق من تلويث الشياطين، وسأرسل لك رسائل ارع لها سمعك، واحفظها في قلبك، وعشها واقعاً لتقطف ثمار مباركة تجدها في حياتك، وبعد مماتك .

---

(١) رواه الطبراني في الكبير، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١١٢).

(٢) سورة المائدة، الآية : ١ .

مبتدأة بحق الله عليك، أخرج الشيخان [(١)] من حديث معاذ بن جبل قال: كنت ردف النبي ﷺ على حمار يقال له: عُفَير – فقال: « يا معاذ، هل تدري ما حق الله على عباده ؟ وما حق العباد على الله؟. قلت: الله ورسوله أعلم. قال: « فإن حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا، فقلت: يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم، فيتكلوا». واللفظ للبخاري .

۞ إن حق الله عليك – أيها الفاضل – أن توحده بالعبادة، فلا تصرف أي عبادة لغيره، فإن فعلت ذلك كان حقاً على الله منه منة وفضلاً أن يدخلك الجنة .

۞ وانظر – رعاك الله – إلى فضل التوحيد وثمنه **الجنة**، ولا غرو؛ فإن التوحيد عظيم شأنه، عال قدره ومكانه، فمن أجله خلق الله خلقه يقول تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [(٢)]، وأرسل رسله فقال: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [(٣)].

---

(١) البخاري (٢٧٠١)، ومسلم (٣٠) .

(٢) سورة الذاريات (٥٦) .

(٣) سورة الأنبياء (٢٥) .

✿ وهو قرين العدل بل هو أعدله، والشرك قرين الظلم، ولهذا جمع سبحانه بينهما، أمّا الأول ففي قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ﴾[١].

وأمّا الثاني فبقوله: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[٢].

✿ وهو مفزع أعداء الله وأوليائه، فأما أعداؤه فينجيهم من كرب الدنيا وشدائدها ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾[٣].

وأمّا أولياؤه فينجيهم به من كربات الدنيا والآخرة وشدائدهما، ولذلك فزع إليه يونس – عليه السلام – فنجاه الله من تلك الظلمات، وفزع إليه أتباع الرسل فنجوا به مما عذب به المشركون في الدنيا، وما دُفِعَت شدائد الدنيا بمثل التوحيد .

✿ والتوحيد أساس الإسلام، وأصله الأصيل، وقاعدته المتينة، فالأعمال الصالحة بنيان أساسه التوحيد الخالص.

---

(١) سورة آل عمران (١٨) .

(٢) سورة لقمان (١٣) .

(٣) سورة العنكبوت (٦٥) .

فمن أراد علو بنيانه، فعليه بتوثيق أساسه، وإحكامه، وشدة الاعتناء به؛ فإن علو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، وإذا كان الأساس غير وثيق لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان أو كاد.

ومن هنا يظهر لك الفرق بين من همته تصحيح الأساس وإحكامه، وبين من يرفع البناء من غير أساس فلا يلبث أن يسقط، قال تعالى: ﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾[1] .

ولكن التوحيد أصلف شئ، وأنزهه، وأنظفه، وأصفاه، فأدنى شئ يخدشه، ويدنسه، ويؤثر فيه، فهو كأبيض ثوب يؤثر فيه أدنى أثر، وكالمرآة الصافية جدًا أدنى شئ يؤثر فيها، ولهذا تشوشه اللحظة، واللفظة، والشهوة الخفية، فإن بادر صاحبه وقلع ذلك الأثر بضده، وإلا استحكم وصار طبعًا يتعسر عليه قلعه، وعليك بشحذ الهمة لدراسة التوحيد وفهمه، وتعلمه، وتعليمه؛ لأن الإنسان قد يقول كلمة يظن أنها تقربه إلى الله، وإذ هي كلمة قد تلقيه في النار، خصوصًا إن ألهمك الله فهم ما قصّ الله عن قوم موسى مع صلاحهم وعلمهم حين أتوه قائلين: ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾[2] ، وحديث أبي واقد الليثي عن

---

(١) سورة التوبة (١٠٩) .

(٢) سورة الأعراف (١٣٨) .

رسول الله ﷺ لما خرج إلى خيبر، مرّ بشجرة للمشركين، يقال لها: ذات أنواط، يعلقون عليها أسلحتهم. فقالوا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط. فقال النبي ﷺ: « سبحان الله! هذا كما قال قوم موسى» ﴿ ٱجْعَل لَّنَآ إِلَـٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ﴾ والذي نفسي بيده لتركبن سنن من كان قبلكم[(١)].

وتأمل بعين البصـــر والبصيرة ذلك الدعـــاء، وتلك الضراعة من نبي الله إبراهيم – عليه السلام – كما قص الله علينا قوله: ﴿ وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ ۝٣٥ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[(٢)].

هذا هو دعاء خليل الرحمن أبي الأنبياء وإمام الحنفاء، حمله عليه خوفه من الشرك، خافه على نفسه وعلى بنيه، ومنهم السادة الحنفاء، والمصطفين الأنبياء، وذلك لكثرة من افتتن بها من الناس. فما ظنك بغيرهم؟!! قال إبراهيم التيمي –رحمه الله– ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم.

ومن هنا أحببت أن أوصيك أيها الموافق بوصايا، احرص عليها وارع لها سمعك، نفعك الله بها :

---

(١) الترمذي (٢١٨٠)، وقال : حسن صحيح .

(٢) سورة إبراهيم (٣٥– ٣٦) .

١ – الدعاء هو العبادة :

إن الله عز وجل خالق الخلق، ورازقه، وهو السميع البصير القريب الودود المجيب، لو سأله الناس كلهم بلغاتهم المختلفة في أي حين لسمعهم تبارك وتعالى: ﴿ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴾[١]، ولو أعطى كل واحد منهم مسألته ما نقص ذلك من ملكه شيئاً، يحب – سبحانه – تذلل عباده بين يديه، وسؤالهم إيّاه، وطلبهم حوائجهم منه، وشكواهم إليه، وعياذهم به منه، وفرارهم منه إليه، كما قيل:

قالوا أتشكوا إليه ما ليس يخفى عليه

فقلت ربي يرضى ذل العبيد لديه

وقال الإمام أحمد – رحمه الله – حدثنا عبدالوهاب، عن إسحاق، عن مطرف بن عبدالله قال: تذاكرت ما جماع الخير، فإذا الخير كثير الصيام والصلاة، وإذا هو في يد الله تعالى، وإذا أنت لا تقدر على ما في يد الله إلا أن تسأله، فيعطيك، فإذا جماع الخير الدعاء[٢].

والرب سبحانه وتعالى يحب أن يُسْأل، ويُرْغب إليه، ويُطلب منه كما قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة طه (٧) .

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١٠٤) .

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ [١]، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [٢]، وقال: ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ [٣].

بل وأشار الله تعالى إلى الدعاء في ختام مناسك الحج فقال: ﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْأَخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ [٤]، وفي حديث النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: « إن الدعاء هو العبادة» [٥]، وقال عليه الصلاة والسلام لعبدالله بن عباس – رضي الله عنهما –: « إذا سألت فسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك» [٦].

---

(١) سورة غافر (٦٠) .

(٢) سورة البقرة (١٨٦) .

(٣) سورة السجدة (١٦) .

(٤) سورة البقرة (٢٠٠ – ٢٠١) .

(٥) الترمذي (٣٢٧٤)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني .

(٦) الترمذي (٢٥١٦)، وقال: حسن صحيح. وصححه الألباني .

وهو سبحانه المنفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كل من سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع. ولا يملك ذلك ولا شيئاً منه غيره تعالى، فهو المستحق للعبادة وحده، دون من لا يضر ولا ينفع. والله تعالى يقول: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ﴾[1]، وقال: ﴿ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾، وقال: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾ .

وبما أن الدعاء عبادة، فإن صرفها لغير الله شرك، وعجبي لمن يطرق باب المخلوق ولا يسأل خالقه، ومما يؤسف له ما يُرى اليوم من بعض المسلمين من دعاء الأموات والاستغاثة بهم، وطلب المدد منهم؛ فيقول بعضهم: يا سيدي المدد المدد، أو يا سيدي الغوث الغوث، أو أنا بجوارك، أو اشف مريضي، أو ردّ غائبي، أو حقق لي سؤلي.

يخاطبون الأموات والغائبين، نسوا الله وأشركوا معه غيره، وقد علموا أنه سبحانه وتعالى أخبر أن المدعو من دونه لا يستجيب لمن

---

(١) سورة يونس (١٠٧) .

دعاه، وليس لداعي غير الله إلا الخيبة والخسران، يقول تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ۝ ﴾[(١)]، وتأمل الآية — وفقك الله — وأمعن النظر في تفسيرها، فإنها عامة في كل داعي ومدعو من دون الله، وقد اتفق على التحذير من دعاء غير الله أئمة السلف من الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنابلة .

❁ فمن أقوال الأحناف، قول الشيخ محمد إسماعيل بن عبدالغني الدهلوي: « نداء الأموات من بعيد أو قريب للدعاء، إشراك في العلم، وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ۝ ﴾[(٢)]، وقد دلت هذه الآية على أن المشركين قد أمعنوا في السفاهة، فقد عدلوا عن الله القادر العليم إلى أناس لا يسمعون دعاءهم، وإن سمعوا ما استجابوا، وهم لا يقدرون على شيء فظهر من ذلك أن الذين يستغيثون بالصالحين الذين كانوا في الزمن السابق على ضلال بعيد، وقد يكتفي بعض الناس فيقولون: يا سيدنا ادع الله لنا يقضي حاجتنا، ويظنون أنهم ما أشركوا،

---

(١) سورة الأحقاف (٥– ٦).
(٢) سورة الأحقاف (٥) .

فإنهم ما طلبوا منهم قضاء الحاجة، وإنما طلبوا منهم الدعاء، وهذا باطل فإنهم وإن لم يشركوا عن طريق طلب قضاء الحاجة، فإنهم أشركوا عن طريق النداء، فقد ظنوا أنهم يسمعون نداءهم عن بعد كما يسمعون نداءهم عن قرب، وكان ذلك سواء في حقهم، ولذلك نادوا من مكان بعيد مع أن الله سبحانه وتعالى قال: ﴿ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾[(١)].

* وأما الإمام مالك – رحمه الله – فقد تشدد في باب الدعاء فمنع من قول الداعي: يا سيدي، ويا حنان من الألفاظ التي لم ترد في الكتاب والسنة، وأمر بالالتزام في الأدعية باللفظ الوارد عن الأنبياء يا رب يا رب[(٢)]. فإذا كانت سيرته هكذا في الالتزام والتقييد في باب الدعاء بالوارد. فلا يمكن أن يجيز دعاء غير الله، بل إنه – رحمه الله – كره الوقوف عند قبر النبي ﷺ للدعاء له، أو الدعاء عنده[(٣)].

* ومن أقوال الشافعية، قول الإمام ابن خزيمة: « هل سمعتم عالماً يجيز أن يقول الداعي: أعوذ بالكعبة من شر خلق الله ؟ أو يجيز أن

---

(١) تقوية الإيمان : ٦٥ – ٦٧. وكذا قال صنع الله الحلبي في القول الفصل (٤٨)، ومحمد طاهر الفتني في مجمع بحار الأنوار (٢/ ٤٤٤)، وعبدالعزيز ولي الله الدهلوي في مجموع فتاواه (١٢١) .

(٢) انظر : العتبية مع البيان والتحصيل (١/ ٤٥٦) .

(٣) الشفا للقاضي عياض (٢/٦٧١) .

يقول: أعوذ بالصفا والمروة، أو أعوذ بعرفات ومنى من شر ما خلق. هذا ما لا يقوله، ولا يجيز القول به مسلم يعرف دين الله، محال أن يستعيذ مسلم بخلق الله من شر خلقه »[١].

وقسم المقريزي زيارة القبور على ثلاثة أقسام: «قوم يزورون الموتى فيدعون لهم، وهذه الزيارة شرعية، وقوم يزورونهم يدعون بهم فهؤلاء هم المشركون في الألوهية والمحبة، وقوم يزورونهم فيدعون أنفسهم (أي: الموتى)، وهؤلاء هم المشركون في الربوبية»[٢].

* ومن أقوال علماء الحنابلة، قول الحافظ ابن عبدالهادي: «إن المبالغة في تعظيم رسول الله ﷺ بالحج إلى قبره، والسجود له، والطواف به، واعتقاد أنه يعلم الغيب، وأنه يعطي ويمنع، ويملك لمن استغاث به من دون الله الضر والنفع، وأنه يقضي حوائج السائلين، ويفرج كربات المكروبين، وأنه يشفع فيمن يشاء ويدخل الجنة من يشاء، فهذه المبالغة مبالغة في الشرك وانسلاخ من ذمة الدين »[٣].

---

(١) التوحيد (١/ ٤٠١) .

(٢) تجريد التوحيد (١٤) .

وانظر : الباعث على إنكار البدع والحوادث لأبي شامة (٢٣)، والفتح المبين لابن حجر الهيتمي (١٧٤).

(٣) الصارم المنكي ٣٥١، وانظر: كلمة الإخلاص لابن رجب (٢٣)، تلبيس إبليس لابن الجوزي (٤٠٢)، الفروع لابن مفلح (٢٠١) .

فلا تدعو غير الله، ولا تلجأ إلا له، فواعجبي لمن يترك دعاء المجيب القادر المستجمع لجميع صفات الكمال إلى المخلوق الناقص الضعيف .

فإن قال قائل: أنا مؤمن بالله سبحانه، وأشهد أنه لا يخلق ولا يرزق، ولا ينفع، ولا يضر إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً فضلاً عن عبدالقادر وغيره. ولكني مذنب، والصالحون لهم جاه عند الله، وأطلب من الله بهم.

فالجواب: أن هذه الشبهة هي التي ذكرها مشركو قريش لرسول الله ﷺ، يقول تعالى: ﴿ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(١) .

وقال سبحانه: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝١٨ ﴾(٢) .

وتأمل شبهة الأولين: ﴿ ليقربونا إلى الله زلفى ﴾.. ترى أنها عين

---

(١) سورة الزمر (٢-٣) .

(٢) سورة يونس (١٨) .

شبهة المتأخرين، وانظر كيف ردّ الحق عليهم بقوله: ﴿ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ . يقول الشوكاني: «والمعنى أتخبرون الله أن له شركاء في ملكه يُعْبَدون كما يعبد، أو أتخبرونه أن لكم شفعاء بغير إذنه، والله سبحانه لا يعلم لنفسه شريكاً، ولا شفيعاً بغير إذنه من جميع مخلوقاته الذين هم في سماواته وأرضه ..»[1].

فإن قال: هذه الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، كيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام؟ أم كيف تجعلون الأنبياء أصناماً ؟ فقل له: بل كان من مشركي قريش من يعبد الملائكة بدليل قول الله: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[2]، وكانت طائفة منهم تدعو عيسى بن مريم وأمه، قال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ۚ

---

(١) فتح القدير (٢/ ٤٣٢) .

(٢) سورة سبأ (٤٠- ٤١) .

وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ ﴾[1] بل إن وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً أسماء رجال صالحين من قوم نوح، ماتوا وأوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون منها أنصاباً، وسموها بأسمائهم حتى عبدت من دون الله[2].

وقل له أرأيت كيف أنكر الله على من دعى الأصنام، كما أنكر على من دعى الملائكة وعيسى بن مريم والصالحين.

ثم إن الشفاعة كلها له سبحانه، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه، ولمن ارتضاه، يقول تعالى: ﴿ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[3]، وقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ﴾[4].

وقال: ﴿ قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ

---

(١) سورة المائدة (٧٥- ٧٦).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٧).

(٣) سورة الزمر (٤٤).

(٤) سورة الزمر (٤٣).

عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ﴾[1].

وقد قطع الله الأسباب التي يتعلق بها أهل الشبهات بهذه الآية، فالمشرك إنما يتخذ معبوده لما يحصل له من النفع، والنفع لا يكون إلا ممن فيه خصلة من هذه الأربع: إما مالك لما يريد عابده منه، فإن لم يكن مالكاً كان شريكاً للمالك، فإن لم يكن شريكاً للمالك كان معيناً له أو ظهيراً، فإن لم يكن معيناً ولا ظهيراً، كان شفيعاً عنده. فنفى الله سبحانه المراتب الأربع نفياً مرتباً، منتقلاً من الأعلى إلى الأدنى، فنفى الملك والشركة والمظاهرة والشفاعة التي يطلبها المشرك، وأثبت شفاعة لا نصيب منها لمشرك، وهي الشفاعة بإذنه. ولا تكون الشفاعة عنده سبحانه إلا بعد إذنه كما قال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾[2]، ولا يُشْفَع في أحد إلا من بعد أن يرضى عن المشفوع له، وهو سبحانه لا يرضى إلا عن المسلم الموحد: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَـٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾.

فإذا كانت الشفاعة كلها لله، ولا تكون إلا من بعد إذنه، ولا يشفع النبي ﷺ ولا غيره في أحد حتى يأذن الله فيه، ولا يأذن إلا لأهل التوحيد، تبين لك أن الشفاعة كلها لله فاطلبها منه، وقل: اللهم لا تحرمني شفاعة نبيك، أو شفاعة ملائكتك أو الصالحين من خلقك. ولا

---

(١) سورة سبأ (٢٢- ٢٣) .

(٢) سورة البقرة (٢٥٥) .

تكون شفاعة الأنبياء والصالحين إلا في الآخرة .

- **وسأوصيك** بالتوسل الشرعي الذي يقربك من الله، وقد أمرك ربك به فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِي سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1] .

يقول إمام المفسرين الحافظ ابن جرير في تفسيرها: « يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم، ووعد من الثواب، وأوعد من العقاب. (اتقوا الله) يقول: أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك. (وابتغوا إليه الوسيلة). يقول:واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه»[2] . ونقل ابن كثير عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن معنى الوسيلة فيها القربة. ونقل عن قتادة : أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه. وقال بعدها ابن كثير: وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه ... والوسيلة هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود »[3] . وقال سبحانه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ

(١) سورة المائدة (٣٥) .

(٢) جامع البيان (٦/ ٢٢٦) .

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٥٢) .

عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ ﴾[١].

وقد بيّن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود – رضي الله عنه – مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال: « نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفراً من الجن، فأسلم الجنيون، والإنس الذين كانوا يعبدوهم لا يشعرون »[٢]. قال الحافظ: « أي استمر الإنس الذين يعبدون الجن على عبادة الجن، والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا، وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة، وهذا هو المعتمد في تفسير الآية »[٣].

فالتوسل كل وسيلة تقرب العبد إلى الله سبحانه، وأذن فيها الشارع الحكيم، والتوسل المشروع ثلاثة أنواع هي :

١ – **التوسل إلى الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى**، وهذه الوسيلة من خير الوسائل، وأعظمها، وأنفعها للعبد المسلم حين يدعو ربه سبحانه، فإن ذلك من أعظم أسباب إجابة الدعاء كما جاءت بهذا الأدلة، قال سبحانه: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾[٤].

---

(١) سورة الإسراء (٥٧) .
(٢) صحيح مسلم (٤/ ٢٣٢١) (٣٣٠) .
(٣) الفتح (١٠/ ١٢) .
(٤) سورة الأعراف (١٨٠) .

أي: ادعوا الله متوسلين بأسمائه الحسنى. وأخبر النبي ﷺ أن منها تسعة وتسعين اسماً من حفظها، وقام بحقوقها دخل الجنة. قال ﷺ : «إن لله تسعة وتسعين اسماً مئة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة »[(١)].

وكان النبي ﷺ إذا أهمه وأحزنه أمر قال: « يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث »[(٢)]. وفي حديث محجن بن الأدرع قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد، فإذا هو برجل قد قضى صلاته وهو يتشهد، وهو يقول: اللهم إني أسألك يا الله الأحد الصمد الذي لم يلد، ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحدا، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم فقال ﷺ: «قد غفر له، قد غفر له، ثلاثاً »[(٣)].

وسمع النبي ﷺ رجلاً آخر، يقول وهو يدعو : « اللهم إني أسألك، بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد» فقال ﷺ : « والذي نفسي بيده، لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى»[(٤)].

---

(١) البخاري (٢٥٨٥)، ومسلم (٢٦٧) .

(٢) الترمذي (٣٥٢٤)،وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٩٦).

(٣) أبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٩٨٥) .

(٤) الترمذي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢٧٦٣) .

وعلى المسلم أن يقدم بين يدي دعائه الاسم المناسب لمطلوبه، كتقديم اسم الرحمن حال طلب الرحمة، والغفور حال طلب المغفرة، والرزاق حال طلب الرزق .. ونحو ذلك.

٢/ **التوسل إلى الله بعمل صالح قام به الداعي**، وذلك بأن تذكر بين يدي دعائك عملاً صالحاً قمت به، يكون سبباً في حصول مطلوبك، كقولك عند دعائه: «اللهم بإيماني بك، وبمحبتي لك، وباتباعي لرسولك ﷺ ، وبإيماني به، وحبي له، أن تفرج همي، وتغفر ذنبي... » . وغير ذلك من الأعمال المشروعة التي قدمتها لله لا تريد بها إلا وجهه من صلاة، وصيام، وحج، وصدقة، وذكر، وحب لرسول الله ﷺ وآل بيته، وصحابته وغير ذلك من الأعمال الصالحة المقربة إلى الله تعالى .

والدليل على مشروعية هذا النوع من التوسل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾[1] ، وقوله تعالى: ﴿ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾[2].

والدليل من السنة، ما تضمنته قصة أصحاب الغار، فعن عبدالله بن

---

(١) آل عمران (١٦) .

(٢) آل عمران (٥٣) .

عمرو – رضي الله عنهما – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « انطلق ثلاثة رهط ممن كان قبلكم، حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار؛ فقالوا : إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعُوا الله بصالح أعمالكم، فقال رجل منهم : اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أَغْبِق قبلهما أهلاً ولا مالاً (١)، فنأى بي في طلب شيء يوماً، فلم أرح عليهما حتى ناما، فحلبت لهما غبوقهما فوجدهما نائمين، وكرهت أن أغبق قبلهما أهلاً أو مالاً، فلبثت والقدح على يديّ أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر، فاستيقظا، فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنّا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئاً لا يستطيعون الخروج. وقال الآخر : اللهم كانت لي بنت عم كانت أحب الناس إليّ، فأردهّا عن نفسها فامتنعت مني، حتى ألمت بها سنة من السنين، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تُخلي بيني وبين نفسها، ففعلت، حتى إذا قدرت عليها قالت، لا أحل لك أن تَفُض الخاتم إلا بحقه، فتحرجتُ من الوقوع عليها، فانصرفت عنها، وهي أحب الناس إليّ، وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا

---

(١) أي : ما كنت أقدم عليهما أحداً في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه، والغبوق : شرب آخر النهار.النهاية (٣/ ٣٤١) .

يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء، فأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد، ترك الذي له وذهب، فثمرْتُ أجره حتى كثرت منه الأموال، فجاءني بعد حين، فقال: يا عبدالله أد إليّ أجري، فقلت له: كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق، فقال: يا عبدالله لا تستهزئ بي، قلت: إني لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً، اللهم فإن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك، فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، فخرجوا يمشون »[1].

فأفادت هذه القصة النبوية التي حدّث بها أصدق الخلق - صلوات الله وسلامه عليه - أن هؤلاء الثلاثة اشتد بهم الكرب، وضاق الأمر، واستحكمت حلقات الهمّ، لجؤوا إلى الله تعالى وحده بإخلاص وصدق، وإفراد عبادة، فأولهم ذَكَر: بره بوالديه، والآخر عفته، وتحصينه فرجه، والثالث أمانته ورد حقوق العباد إليهم، ففرج الله كربتهم، وأظهر أمرهم.

ومن التوسل إلى الله أيضاً، إظهار فقر العبد إليه سبحانه، وحاجة العبد الماسة له، كما قال أيوب عليه الصلاة والسلام: ﴿ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾[2] وكقول موسى:

---

(١) البخاري (٢١٥٢)، مسلم (٢٧٤٣)، واللفظ للبخاري .

(٢) سورة الأنبياء (٨٣) .

﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ﴾ [١] .

أو بظلم العبد نفسه وتفريطه في أمر ربه مع حاجته لله، وافتقاره له، كما قال تعالى عن نبيه يونس عليه السلام: ﴿ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٢] .

وكقوله ﷺ لأبي بكر الصديق حين قال: علّمني دعاءً أدعو به في صلاتي. فقال ﷺ: «قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم » [٣] .

٣/ **التوسل إلى الله تعالى بدعاء الصالحين**، وهذا النوع من التوسل هو التوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح المتابع لسنة رسول الله ﷺ الحي الذي يُرجْى إجابة دعائه عند الله تبارك وتعالى .

ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى عن أبناء يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوۡفَ أَسۡتَغۡفِرُ لَكُمۡ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [٤] .

---

(١) سورة القصص (٢٤) .

(٢) سورة الأنبياء (٨٧) .

(٣) البخاري (٧٩٩)، مسلم (٢٧٠٥) .

(٤) سورة يوسف (٩٧- ٩٨) .

وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾ ﴾[1] .

وقد أرشد سبحانه المسلمين والصحابة – رضوان الله عليهم – في هذه الآية إلى التوسل بدعاء الرسول ﷺ في حياته؛ لأن دعاءه لقومه من أسباب الاستجابة، إذ هو ﷺ أتقى الناس، وأخشاهم وأعبدهم لربه، وأعلمهم بحدوده، وأما بعد مماته فلم يؤثر عنهم –رضوان الله عليهم– أن وقفوا بقبره، وسألوه حاجاتهم من دون الله؛ لأنهم يعلمون أنه مات، وأن الله حي لا يموت ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ .

وأما ما ورد من الأحاديث عن حياته في قبره؛ فإن حياته ﷺ بعد وفاته مخالفة لحياته قبل وفاته؛ وذلك أن الحياة البرزخية غيب من الغيوب، ولا يدري كنهها وحقيقتها إلا الله سبحانه وتعالى، ولكن من الثابت والمعلوم أنها تختلف عن الحياة الدنيوية، ولا تخضع لقوانينها، فالإنسان في الدنيا يأكل ويشرب، ويتنفس، ويتزوج، ويتحرك، ويمرض ويتألم، ولا أحد يستطيع أن يثبت أن أحداً بعد الموت حتى الأنبياء عليهم السلام تعرض له هذه الأمور بعد وفاته. ولو كان حيا كحياة الدنيا لما كان ثمة وجه مقبول لانصرافهم عن الصلاة وراءه ﷺ إلى الصلاة وراء غيره ممن لا يدانيه أبداً في منزلته وفضله .

---

(١) سورة النساء (٦٤) .

ومما يؤكد هذا أن الصحابة – رضوان الله عليهم – كانوا يختلفون في مسائل كثيرة بعد وفاته ﷺ ، ولم يخطر في بال أحد منهم الذهاب إليه ﷺ في قبره، ومشاورته في ذلك، وسؤاله عن الصواب فيها، لماذا ؟ إن الأمر واضح جداً، وهو أنهم كلهم يعلمون أنه ﷺ انقطع عن الحياة الدنيا، ولم تعد تنطبق عليه أحوالها ونواميسها .

وإذا كان هذا في حقه ﷺ ، فمن غيره من باب أولى. قال الشيخ العلامة شكري الآلوسي: « وكون الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، وكذا الخلص من عباد الله أحياء في قبورهم حياة برزخية، لا يقتضي أن يثبت لهم شيء من خصائص الإلهية، كما أن حياتهم الحقيقية لا تقتضي ذلك »[١].

ومن التوسل بدعاء النبي ﷺ في حياته توسل ذلك الأعرابي بطلب الدعاء منه ﷺ ، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: « دخل رجل يوم الجمعة من باب كان وجاه المنبر، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبل رسول الله ﷺ قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت المواشي، وانقطعت السبل، فادع الله يغيثنا. فرفع رسول الله ﷺ يديه، فقال: «اللهم اسقنا، اللهم اسقنا، اللهم اسقنا ». قال أنس: ولا والله، ما نرى في السماء من سحاب، ولا قزعة، ولا شيئاً، وما بيننا وبين سلع

---

(١) البخاري (٩٦٧)، مسلم (٨٩٧) .

من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل التُّرس، فلما توسطت السماء انتشرت، ثم أمطرت. قال: والله ما رأينا الشمس سبتاً. ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها. قال: فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام، والجبال، والضراب، والأودية، ومنابت الشجر». قال: فانقطعت، وخرجنا نمشي في الشمس[(١)] .

والصحابة – رضوان الله عليهم – فقهوا هذه المسألة، وتعلموها من رسول الله ﷺ ، ولما انتقل النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، توجهوا في دعائهم إلى الصالحين منهم، كما فعل ذلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه –، فعن أنس بن مالك – رضي الله عنه – قال: إن عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – كان إذا قحطوا استسقى بالعباس بن عبدالمطلب فقال: « اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا ﷺ فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا» قال: فيسقون[(٢)] .

ومعنى قول عمر – رضي الله عنه – أي إنا كنا نقصد نبينا محمد ﷺ – ونطلب منه أن يدعو لنا، ونتقرب إلى الله بدعائه، والآن وقد

---

(١) البخاري (٩٦٧) .

(٢) البخاري (٣٥٠٧) .

انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى، ولم يعد من الممكن أن يدعو لنا، فإنا نتوجه إلى عم نبينا ﷺ العباس، ونطلب منه أن يدعو لنا .

وعن التابعي الجليل سليم بن عامر الخبائري قال: إن السماء قحطت، فخرج معاوية وأهل دمشق يستسقون، فلما قعد معاوية على المنبر، قال: أين يزيد بن الأسود الجرشي؟ فناداه الناس، فأقبل يتخطى الناس، فأمره معاوية، فصعد، فقعد عند رجليه، فقال معاوية: اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بخيرنا وأفضلنا، اللهم إنا نستشفع إليك اليوم بيزيد ابن الأسود الجرشي، يا يزيد ارفع يديك إلى الله . فرفع يديه، ورفع الناس أيديهم، فما كان أوشك أن ثارت سحابة في الغرب كأنها ترس، وهبت ريح، فسقينا حتى كادا الناس أن لا يبلغوا منازلهم[(١)] .

فعُرف من الحديث أن توسلهم كان بدعاء رجل صالح حي فيهم.

* فهذه ثلاثة أنواع للتوسل الصحيح المشروع، وما عداها من التوسلات لم يرد فيه دليل تقوم به الحجة، وعليك أيها الموفق المبارك بالدليل من الكتاب وصحيح السنة، وهدي الصحابة، فإنهم عن علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا .

---

(١) أخرجه يوسف بن يعقوب في المعرفة والتاريخ (٢/ ٣٨٠)، وأبو زرعة الدمشقي في تاريخه (١/٦٠٢)، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الإصابة (٦/ ٦٩٨)، والألباني في التوسل (٤٥) .

وسعادة العبد في الدارين معلقة بهدي النبي ﷺ ، فواجب على كل من نصح لنفسه، وأحب نجاتها وسعادتها أن يعرف من هديه وسيرته وشأنه ما يخرج به عن الجاهلين به، ويدخل في عداد أتباعه وشيعته وحزبه، والناس في هذا بين مستقل ومستكثر ومحروم، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم .

وسأشير على عجل إلى بعض التوسلات غير المشروعة، فاحذرها - وفقك الله - وأنت تقرأ حديث رسول الله ﷺ : «من حج ولم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، وبعد توبتك النصوح من كل ما أخطأت فيه عمداً وسهواً، فمن التوسل الممنوع شرعاً التوسل إلى الله بحق أو جاه شخص من الأشخاص، كقول أحدهم: « اللهم إني أسألك بجاه نبيك، أو بجاه عبدك فلان أن ترحمني وتغفر لي» ومنهم: «اللهم إني أقسم عليك بفلان أن تقضي حاجتي .. ». لأن هذا التوسل لم يرد في كتاب الله عز وجل والله يقول: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾[1] . ولا في صحيح السنة، ولم يرد أيضاً من فعل الصحابة - رضوان الله عليهم- الذين نقلوا كل أقوال وأحوال رسول الله ﷺ، ولا رواة علماء الحديث الذين عرفوا سنته ﷺ، ونقلوا أخباره وآثاره بكل أمانة ودقة، يقول الإمام أبو حنيفة - رحمه الله - : « ويكره أن يقول

---

(١) سورة الأنعام (٣٨) .

الداعي : أسألك بحق فلان، أو بحق أنبيائك ورسلك، أو بحق البيت الحرام »[١] .

وورد عن الإمام مالك – رحمه الله – أنه كره للداعي أن يقول يا سيدي يا سيدي، وقال: « قل كما قالت الأنبياء : يا ربّ يا رب يا كريم »[٢] .

ومن هنا فلا تسأل بجاه أحد؛ لأنه وإن كان لفلان جاه ومنزلة فإنه ليس مفيداً بالنسبة إلى الداعي، وإنما هو مفيد لصاحب الجاه والمنزلة، وقد تقدم أن الوسيلة هي اتخاذ الوسائل الصالحة التي تثمر، فما فائدتك أنت من كون رجل صالح له جاه عند الله؟! وإذا أردت أن تتوسل إلى الله على وجه صحيح فقل: اللهم بإيماني بك، وبرسولك، أو بمحبتي لك، لرسولك.. وما أشبه ذلك فإن هذه هي الوسيلة النافعة. مثل ذلك كمثل مرؤوس ذهب لرئيس له في عمله، وذكر محاسن فلان وشرفه، ثم سأله لم يكن ليعطيه، بخلاف إن ذكرت محبتك له، وقربه منه.. فتأمل.

وكما تقدم يتضح لكِ جلياً أن توسل الصحابة برسول الله ﷺ في حياته إنما كان بدعائه لا بجاهه، ولا بذاته، ولو كان الصحابة يعلمون

---

(١) إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين للزبيدي (٢/ ١٢٨٥)، وشرح الفقه الأكبر لملا علي القاري (٩٨).

(٢) حلية الأولياء للأصفهاني (٦/ ٣٢٠) .

أن التوسل إنما هو بجاهه وبذاته على الله تعالى، لما عدلوا عنه؛ لأن جاهه ومترلته وكرامته عند الله لم تتأثر بوفاته، بل هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيد الخلق في الدارين، وأشرفهم، وأعظمهم مترلة وجاهاً عند ربه.

- وعليك أيها الموفق عند الدعاء التحلي بآدابه، والتخلي عن موانعه، **ومن موانع الإجابة** :

* الاعتداء، فإنه سبحانه أمرنا بدعائه ونهانا عن الاعتداء فيه، فقال: ﴿ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1] ومن الاعتداء دعاء غير الله سواء دعاه استقلالاً، أو جعله وسيطاً بينه وبين الله .

ومن الاعتداء في الدعاء الابتداع؛ لأن الدعاء عبادة، والعبادات كلها توقيفية، فمن ابتدع عبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فقد عبد الله بما لم يشرعه، وتقرب إليه بما لم يأذن به.

ومن الاعتداء في الدعاء سؤال الله تعالى ما لا يجوز له سؤاله، ويدل على ذلك ما ورد عن عبدالله بن مغفل أنه سمع ابنه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها فقال: أي بني سل الله

(١) سورة الأعراف (٥٥) .

الجنة، وتعوذ به من النار، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الطهور والدعاء»[1].

وإنما أنكر عبدالله بن مغفل على ابنه هذا الدعاء؛ لأن ابنه طمع فيما لا يبلغه عمله، حيث سأل منازل الأنبياء، وهذا اعتداء في الدعاء لما فيه من تجاوز الأدب، ويحتمل أنه إنما نهاه لأنه سأل شيئاً معيناً، ويمكن أنه نهاه لكونه من تكثير الكلام بلا فائدة[2].

ومن الاعتداء سؤال الله تعالى المعونة على الحرام، لأنه سبحانه لا يحب الحرام ولا الفحشاء، فكيف يطلب منه ما لا يحب، وفي الحديث عن النبي ﷺ قال: لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم، أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل. قيل: يا رسول الله، ما الاستعجال؟ قال: يقول: «قد دعوت، وقد دعوت فلم يستجب لي، فيستحسر عند ذلك، ويدع الدعاء»[3].

فجميع أنواع الحرام داخلة في هذا الحديث، فيدخل في الإثم كل ما يأثم به من الذنوب، ويدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومظالمهم،

---

(١) أحمد في المسند (٤/٨٧)، وأبو داود (٩٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

(٢) عون المعبود (٢/١٦٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٧٣٥).

ومن هذا الباب الدعاء على المؤمنين باللعنة والخزي ونحو ذلك، فقد قال بعض السلف في تفسير المعتدين: « هم الذين يدعون على المؤمنين فيما لا يحل فيقولون : اللهم اخزهم .. اللهم العنهم »[(١)] .

-ومن جملة الاعتداء في الدعاء دعاء الله تعالى بدون تضرع في دعائه تعالى وخطابه، فإن دعاء غير المتضرع يشبه المستغني المدل على ربه، وهذا من أعظم الاعتداء؛ لمنافاته لدعاء الذليل فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد[(٢)] .

ويدل على كون هذا من الاعتداء في الدعاء أن الله تعالى قال أولاً: ﴿ ادعوا ربكم تضرعاً وخفية﴾ ثم عقبه بقوله: ﴿ إنه لا يحب المعتدين ﴾ فدل هذا على أن عدم التضرع اعتداء في الدعاء، كما أن عدم الخفية يعد اعتداء .

*** ومن موانع الإجابة :**

التلبس بالحرام :

ولتعلم – وفقك الله – أن من أهم آداب الدعاء أن يكون الداعي مجتنباً التلبس بالحرام أكلاً وشرباً ولبساً، وينبغي له أن يتحرى ويجتهد إذا أراد أن يكون مجاب الدعوة، في أن يكون مطعمه حلالاً، وللحلال

---

(١) روح المعاني (٨/ ١٤٠) .

(٢) بدائع الفوائد (٣/ ١١٣) .

سر عجيب في قبول الأعمال عند الله، وقد جاء ذلك صريحاً في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس إن الله طيب، لا يقبل إلا طيباً، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾[1] وقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾[2] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يده إلى السماء يا رب يا رب، ومطعمه حرام ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام فأنى يستجاب لذلك»[3]. وفي الحديث إشارة إلى أنه ينبغي الاعتناء بالحلال لمن أراد الدعاء أكثر من غيره .

ويجدر بي أخي الفاضل أن أحذرك من بلاء عمّ خطره، وانتشر ضرره، ولم يسلم منه إلا من رحم الله، باب من دخله فقد دخل بوابة الحرام، إنه الربا الذي عدّه رسول الله ﷺ من كبائر الذنوب، ولعن آكله وموكله وشاهداه وكاتبه، وجعل أيسر أبوابه وأدناها مثل أن ينكح الرجل أمه، وأخرج الإمام أحمد[4] من حديث عبدالله بن حنظلة قال: قال رسول الله ﷺ : «درهم ربا يأكله الرجل وهو يعلم أشد من ست

(١) سورة المؤمنون (٥١) .
(٢) سورة البقرة (١٧٢) .
(٣) مسلم (١٠١٥) .
(٤) المسند (٢٢٠٠٧)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٠١). (٨٥٥).

وثلاثين زنية». فطهر مطعمك، واحذر أن تغذي لحمك على حرام، فإن كل لحم نبت على السحت النار أولى به، كما أخبر ﷺ [(١)] .

* **ومن موانع الإجابة :**

الاستعجال :

وقد مرّ بك « يستجاب لأحدكم ما لم يعجل » فلا تعجل في دعوة دعوتها، ولا يكن تأخر أمد العطاء مع الإلحاح في الدعاء موجباً ليأسك، فهو الذي ضمن الإجابة سبحانه فيما يختاره لك، لا فيما تختاره لنفسك، وفي الوقت الذي يريد لا في الوقت الذي تريد.

ولعل الحكمة من منعه ﷺ الاستعجال : أن قوله : « دعوت فلم يجب لي » يدل على تضجر قائله، وملله، وهذا يؤدي إلى انقطاعه عن الدعاء وتركه له، وقد أشار الحديث المتقدم إلى هذا : « فيتحسر عند ذلك، ويدَع الدعاء ». وفي الاستعجال اتهام للرب تبارك وتعالى، وتبخيل الكريم الجواد الذي لا تعجزه الإجابة، ولا ينقصه العطاء، حيث يظن هذا الداعي أنه قد أتى من الدعاء ما يستحق به الإجابة، ولكن الله تعالى لم يستجب له .

ومما ينبغي التفطن له أنه ليس من معنى الاستعجال [(٢)] : سؤال الداعي ربه أن يعجل له الإجابة .

---

(١) الترمذي، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي (٢/٥١٢) (٦١٤) .

(٢) تحفة الذاكرين (٥٠) .

* ومن موانع الإجابة :

تعليق الدعاء :

من آداب الدعاء المهمة أن لا يعلق الدعاء ولا يتردد، بل عليه العزم والجد، والاجتهاد في الطلب من غير ضعف ولا تردد، ولا تعليق على المشيئة، وذلك بأن يقول: اللهم اغفر لي إن شئت، أو أعطني إن شئت.

وقد أمر النبي ﷺ بالعزم في الطلب، ونهى عن التعليق بالمشيئة، فعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا دعا أحدكم فليعزم المسألة، ولا يقولن : اللهم إن شئت فأعطني، فإنه لا مستكره له »[(١)] .

والسر في النهي عن التعليق هو أن عدم العزم في السؤال لا يليق بالبائس الفقير ذي الحاجة الشديدة، وإنما يليق بمن يمكن الاستغناء له، ولا أحد يستغني عن فضل الله وجوده وكرمه، وأما المضطر فإنه يجزم ويسأل سؤال الفقير المضطر إلى ما سأله.

كما أن روح الدعاء وسره هو رغبة النفس في الشيء، مع تطلعها للملأ الأعلى، والطلب بالشك يشتت العزيمة، ويفتر الهمة. ثم إن عدم الجزم فيه سوء ظن بالله تعالى، لأن الداعي إذا لم يدع ربه على يقين أنه يجيبه، فقد أساء الظن به سبحانه، مع أنه سبحانه كريم قريب مجيب،

---

(١) البخاري (٥٩٧٩)، مسلم (٢٦٧٨) .

كم أعطاك من غير سؤال، أفيحرمك وأنت تدعوه، وترغب إليه [١].

يقول ابن عيينة : « لا يمنعن أحدًا من الدعاء ما يعلم في نفسه – يعني من التقصير – فإن الله قد أجاب دعاء شر خلقه وهو إبليس حين قال: ﴿ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [٢].

* **ومن موانع الإجابة :**

الغفلة والتكاسل :

الدعاء دواء نافع مزيل للداء، ولكن غفلة القلب تبطل قوته، ومن المعلوم أن مقصود الدعاء هو حضور القلب، ولكن الغفلة وضعف حضور القلب، وعدم إقباله على الله، تضعف قوة الدعاء، وتبطل تأثيره، فيكون بمترلة القوس الرخو جدًا، فإن السهم يخرج منه خروجاً ضعيفاً، ولهذا حث الرسول ﷺ على حضور القلب، وحذر من الغفلة، وأخبر أنها مانعة من قبول الدعاء، فقد قال ﷺ: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه» [٣].

وأنبهك إلى آداب الدعاء التي تتحلى بها أثناء دعائك وهي :

---

(١) ينظر : المنتقى شرح الموطأ للباجي (١/ ٣٥٦)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٣١٢)، فيض القدير (١/٢٢٨)، إتحاف السادة (٥/ ٣٩) .

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/ ٣١٣) .

(٣) الترمذي (٣٤٧٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (٢/ ١٤١) (٥٩٤) .

١/ الإخلاص . ٢/ التوبة .

٣/ التضرع والخشوع . ٤/ الإلحاح والتكرار .

٥/ الإكثار من الدعاء في الرخاء .

٦/ التوسل بأسماء الله الحسنى .

٧/ اختيار جوامع الكلم وعليك بالأدعية الواردة في القرآن، وصحيح السنة.

٨/ استقبال القبلة . ٩/ الطهارة .

١٠/ افتتاح الدعاء بالثناء على الله تعالى، والصلاة على نبيه محمد ﷺ بداية الدعاء ونهايته.

١١/ رفع اليدين . ١٢/ تحري الأوقات الفاضلة .

وفقك الله، وحقق لك ما تؤمل، وفوق ما ترجوه .

٢ – « فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين » :

التوكل نصف الدين، والنصف الثاني الإنابة، لأن الدين استعانة وعبادة، والتوكل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، وقد جمع الله بينهما في قوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[(١)].

والتوكل شرط الإسلام لقوله تعالى: ﴿ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ۝٨٤ ﴾[(٢)] ودلالة كمال الإيمان، ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ﴾[(٣)] وبه تحصل الهداية: ﴿ وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا ﴾[(٤)]. وبه تكون كفاية الله للمتوكل عليه في جميع شؤونه: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾[(٥)] . فهو سبحانه حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن من خوف الخائف، ويجير المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير، فمن تولاه واستنصر به، وتوكل عليه، وانقطع بكليته إليه، تولاه وحفظه، وحرسه وصانه، ومن خافه

---

(١) شعب الإيمان (١١١/٢) .

(٢) سورة يونس (٨٤) .

(٣) سورة الأنفال (٢) .

(٤) سورة إبراهيم (١٢) .

(٥) سورة الطلاق (٣) .

واتقاه أمّنه مما يُخاف ويُحذْر، وجلب إليه كل ما يحتاج إليه من منافع، وعن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ : «من قال إذا خرج من بيته : بسم الله، وتوكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله. يقال له: كفيت، ووقيت، وتنحى عنه الشيطان »[(١)] .

فانظر إلى كفاية الله من توكل عليه .

والتوكل سبب من أقوى الأسباب في جلب المنافع، ودفع المضار، وبه يدفع العبد ما لا يطيق من أذى الخلق، وظلمهم، وعدوانهم؛ لأن الله حسبه وكافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدو، ولا يضره إلا أذى لابد منه. والواقع خير شاهد على ذلك فقد روى البخاري[(٢)] بإسناده عن ابن عباس: « حسبنا الله ونعم الوكيل » قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿ إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم ﴾ فصارت النار برداً وسلاماً على إبراهيم، وانقلب رسول الله ﷺ ومن معه بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء .

وبالتوكل تحصن نفسك من أكبر أعدائك، وتقيها من تسلط الشياطين، يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ

(١) الترمذي (٣٤٢٦)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي .
(٢) (٤٢٨٧) .

ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ ﴾[1].

والتوكل يورث محبة الله، ولا شك أن محبة الله مترلة يتنافس فيها المتنافسون، وإليها شخص العاملون، فهي قوت القلوب، وغذاء الأرواح، وقرة العيون، ومن نال محبة الله حاز شرف الدنيا والآخرة، وأحبه الرسل والملائكة، ووُضع له القبول في الأرض، والله تعالى يقول: ﴿ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾[2].

وما ذكرت لك من ثمرات التوكل إنما هو غيض من فيض، وقطرات من بحر عظيم.

فما التوكل الذي حاز على هذه الدرجات العلى؟

التوكل صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح، ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها[3].

والتوكل حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير والضر والنفع والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان، وما لم يشاء لم يكن، فيوجب له اعتماداً عليه، وتفويضاً إليه، وطمأنينة به، وثقة به سبحانه.

---

(١) سورة النحل (٩٨) .

(٢) سورة آل عمران (١٥٩) .

(٣) جامع العلوم والحكم لابن رجب (٤٠٩) .

وليس معنى اعتمادك على الله، أن ترفض الأسباب، وتتخلى عنها، بل إن الناس في مسألة التوكل طرفان ووسط، **طرف** فرّط فلم يتوكل على الله بل اكتفى بالأسباب ونسي مسببها، ووَكَلَه الله إلى سببه، وعطل التوكل من أجل السبب، فيا حسرة عليه، وهذه نظرة الماديين والعقلانيين قديماً وحديثاً، **وطرف** غلا فرفض السبب، وزعم أن اعتماده على الله كافيه، وأن أخذه بالأسباب ينافي توكله، وعطل الأسباب محافظة على التوكل، وهذا مخالف لأمر ربه، مدع لنفسه حالاً أكمل من حال رسول الله ﷺ وأصحابه، وهذا مفهوم غالب الصوفية للتوكل، وهو متواكل لا متوكل، فقدوتنا ﷺ سيد المتوكلين أخذ بالأسباب، ولم يخل بشئ منها، وقد ظاهر بين درعين يوم أحد، واختفى في الغار ثلاثاً، وتعوذ بالله من العجز.

وأمّا الوسط الذين هداهم الله لما اختلف فيه، ولزموا هدي رسول الله ﷺ وسنته هم من كانت حالهم مع الأسباب كالآتي :

١/ ألا يجعل منها سبباً إلا ما ثبت أنه سبب شرعاً أو قدراً، فمن الأسباب الشرعية: الرقية بالقرآن وصحيح السنة، وما ورد في الطب النبوي. وأمّا الأسباب القدرية فكشرب الماء لرفع العطش، وأكل الطعام لدفع الجوع، وتناول الدواء الذي ثبت نفعه عند الأطباء لدفع المرض .

وكل ما ليس بسبب شرعي ولا قدري لا يتعاطاه مؤمن، ولا يجوز

أن يُعْتقد أن الشيء سبب إلا بعلم، فمن أثبت سبباً بلا علم فقد أخطأ. ومثل ذلك تعليق التمائم، والخرز لاسيما الأزرق منه، والعين، وجلد الذئب، وربط حزام على البطن، وعقد سلك والنفث فيه ومن ثم تعليقه، وشراء وعاء نحاس يكتب عليه آيات، ويعلق لطرد العين أو للحفظ، أو يشرب منه طلباً للشفاء، أخرج الإمام أحمد [(١)] بسند لا بأس به من حديث عمران بن حصين أن النبي ﷺ أبصر على عضد رجل حلقة من صُفر، فقال: ويحك ما هذه ؟ قال: من الواهنة [(٢)]. قال: «أما إنها لا تزيدك إلا وهناً، انبذها عنك فإنك لو مت وهي عليك ما أفلحت أبداً». وأخرج الحاكم [(٣)] من حديث عقبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ : « من علق ودعة [(٤)] فلا وَدع الله له، ومن علق تميمة فلا أتم الله له»، وقال: صحيح الإسناد .

وأخرج الإمام أحمد [(٥)] من حديث عقبة بن عامر الجهني أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعة، وأمسك عن واحد، فقالوا : يا

---

(١) المسند (٢٠٠١٤) .

(٢) الواهنة : مرض يأخذ في العضد. النهاية (٥/ ٢٣٣) وهن .

(٣) (٤/ ٤٦٣) (٨٢٨٩) .

(٤) الوَدْع : بالفتح والسكون شيء أبيض يجلب من البحر. النهاية (٥/ ١٦٧) وتسمى اليوم القواقع.

(٥) المسند (١٧٤٥٨) .

رسول الله بايعت تسعة وتركت هذا. قال: إن عليه تميمة، فأدخل بيده فقطعها فبايعه. وقال: «من علق تميمة فقد أشرك»[١].

فعليك – حمى الله قلبك من التعلق بغيره – بِعَرْض كل سبب لديك على هذا الأصل العظيم، إن كان سبباً شرعياً وهو ما ثبت بالقرآن أو صحيح السنة، أو قدرياً كالأكل لدفع الجوع، والشرب لدفع العطش، فاتخاذه مباح، وإن لم يكن كذلك فالحذر الحذر؛ لأن أعظم الناس خذلاناً من تعلق بما لم يشرعه الله، وما فاته من المصالح والسعادة أعظم مما حصل له، ومثله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت أوهن البيوت .

٢/ أن يأخذ الأسباب باليد، ويرفضها بالقلب، فيكون آخذاً لها منفصلاً عنها، يعلم أن الأسباب مهما قويت وعظمت مرتبطة بقضاء الله وقدره لا خروج لها عنه، يتصرف فيها الرب كما شاء. يقول الإمام أحمد : وهذا هو الأصل في هذا الباب، وهو أن يستعمل هذه الأسباب التي بينها الله تعالى لعباده، وأذن فيها، ويعتقد أن المسبب هو الله سبحانه وتعالى، وما يصل إليه من المنفعة، فبتقدير من الله عز وجل، وأنه إن شاء حرمه تلك المنفعة مع

---

(١) قال المنذري : رواته ثقات، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٠٨) ٣٤٥٥.

استعماله السبب، فتكون ثقته بالله واعتماده عليه في إيصال تلك المنفعة إليه مع وجود السبب.

وانظر إلى المزارع حين يضع بذر الحب في الأرض الخصبة، ويتعهدها بالري والتسميد ونحو ذلك، لا يملك تعهد البذرة في أعماق التربة، ولا يملك تصريف الرياح، ودرجات الحرارة والبرودة التي تؤثر فيها، ولا الآفات السماوية التي يمكن أن تحيق بها، فلا يملك المؤمن هنا إلا أن يقول بعد سببه واجتهاده : نبذر الحب، ونرجو الثمر من الرب .

وقد ذكر القرآن لنا نموذجاً من الاعتماد على الأسباب الظاهرة وحدها، فإذ هي لا تحقق النتائج وذلك في قوله تعالى: ﴿ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾[1] .

وستظهر لك أيها المبارك ثمرة توكلك حين تقدّم السبب باليد، وتفوض الأمر للرب بالقلب. انظر لموسى عليه السلام وقد أوحى الله إليه : ﴿ فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[2]، فخرج

---

(١) سورة التوبة (٢٥) .

(٢) سورة الدخان، الآية : ٢٣ .

بقومه في جنح الليل، فارين من فرعون وملئه، متجهين ناحية البحر، وشعر فرعون وجنوده بخروجهم، فاتبعوهم مشرقين، يريدون أن يفتكوا بهم، فهم يملكون العدد والعُدد مع الغيظ والغضب: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[١]، وقد ذكر الرب جل وعلا حالهما قائلاً: ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ ﴾[٢].

لقد نظر أصحاب موسى إلى الأسباب وحدها فقالوا: ﴿ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ ولكن كليم الله موسى عليه الصلاة والسلام لم يقف عند ظواهر الأسباب، بل كان قلبه متعلق بربه فجاءت الإجابة المطمئنة الواثقة بنصر الله: ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ وهداه الله إلى المخرج من المأزق بأمرٍ لم يكن في حسبانه: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴾[٣].

وانظر إلى محمد ﷺ يوم الهجرة، كيف أخذ بكل الأسباب الممكنة للبشر، خطط فأحكم التخطيط، ورتب فأحسن الترتيب،

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٥٤ – ٥٦ .

(٢) سورة الشعراء، الآيات : ٦١ – ٦٢ .

(٣) سورة الشعراء، الآية : ٦٣ .

وأعدّ لكل أمر عدته المناسبة، هيأ من يبيت في فراشه (علي بن أبي طالب)، ومن يرافقه في رحلته (أبا بكر الصديق)، ومن يدله على الطريق (عبدالله بن أريقط)، واختار الغار الذي يختفي فيه أياماً حتى يهدأ الطلب عنه (غار ثور)، ولم يختر ناحية يثرب تعمية على القوم، وهيأ من يأتي له بالزاد والأخبار (أسماء بنت أبي بكر) ومن يعفي على آثارها بغنمه بعد رجوعها (عامر بن فهيرة) .

ومع هذا كله استطاع القوم أن يصلوا إلى الغار، وأن يتوقفوا عنده، مما جعل أبو بكر – رضي الله عنه – يقول مشفقا على مصير الدعوة إن مسّ رسول الله ﷺ وسلم سوء: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر تحت قدميه لأبصرنا، فقال: ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما[1]. وقال الله عن رسول الله ﷺ وصاحبه في القرآن: ﴿ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾[2]، فكانت النتيجة: ﴿ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ ﴾[3].

---

(١) البخاري: ٣٤٥٣ .

(٢) سورة التوبة، الآية : ٤٠ .

(٣) سورة التوبة، الآية : ٤٠ .

لقد كان الزمن الذي بين الكليم موسى عليه الصلاة والسلام والحبيب محمد ﷺ زمناً طويلاً امتد قروناً، ولكن الموقف واحد، عبارة موسى ﴿ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴾، وعبارة محمد ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ﴾ .

وبناء على ما تقدم احرص على تفويض أمرك لله، واعتماد قلبك على الله ، مع الأخذ بالأسباب القدرية أو الشرعية باليد، وقد جمع النبي ﷺ بين هذين الأصلين العظيمين في قوله: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز» [(١)] .

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: « يا رسول الله أرسل ناقتي وأتوكل، قال: اعقلها وتوكل» [(٢)] .

---

(١) مسلم : ٢٦٦٤ .
(٢) ابن حبان (٧٣/١)، وحسن الألباني في الحديث في جامع الترمذي (٢٥١٧) .

٣ – إيّاك والغلو :

لقد ميّز الله هذه الأمة بالوسطية، وامتّن عليها بهذه النعمة العظيمة فقال: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[(١)]، وللوسط طرفان من تعلق بأحدهما جفا وفرط، ومن تعلق بالآخر غلا وأفرط، وما دون السنة إلا مقصِّر، وما فوقها إلا محسِّر، قصّر دونها أناس فجفوا، وطمع آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم .

وقد نهاك ربك عن الغلو وحذرك منه، حين ذكر لك نهيه لأهل الكتاب وما قادهم غلوهم من تأليه عيسى بن مريم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾[(٢)] .

والغلو مجاوزة المشروع في أمر من الأمور بأن يزاد فيه أو ينقص عن الحالة التي شرع عليها، ويكون الغلو بالفعل والترك. فمن تجاوز الحدّ في فعل فهو غال، سواء كان الفعل من عمل الجوارح كالزيادة في العبادة المشروعة، أو التعبد بما لم يشرعه الله أصلاً، أو كان الفعل

---

(١) سورة البقرة، الآية : ١٤٣ .

(٢) سورة النساء، الآية : ١٧١ .

من عمل القلوب والعقائد وهو أخطر أنواع الغلو، ومن أنواعه الغلو في الأنبياء والأولياء بالإطراء.

ويكون الغلو بالترك أيضاً، سواءً كان الترك من عمل الجوارح، كمن يتقرب إلى الله تعالى بترك ما شرعه من العبادات وأباحه من الطيبات، تزهداً، وقد حذر الله تعالى من ذلك في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ﴾[١]، ويكون الغلو بالترك أيضاً في الاعتقاد وعمل القلوب، وهو يكثر في غلو العقلانيين والعلمانيين الذي يستخفون بمعتقدات أهل الإيمان، وينكرون ما هو معلوم بالضرورة من دين الإسلام.

ولذا حذّر ﷺ أشد التحذير من الغلو والتنطع، فقال ﷺ : « يا أيها الناس إياكم والغلو، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين » وسبب ورود الحديث ما ذكره ابن عباس – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «القط لي حصى»، فلقطت له سبع حصيات من حصى الخذف (أي: حصى صغاراً) فجعل ينفضهن في كفه، ويقول: «أمثال هؤلاء فارموا» ثم ذكر الحديث[٢].

---

(١) سورة المائدة، الآية : ٨٧ .

(٢) ابن ماجة، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجة (٣٠٢٩) .

وإن كان الحديث ورد في رمي الجمار، والنهي عــن الرمــي بالحجارة الكبار بناء على أنه أبلغ من الصغار، فإنه لا شك نهي عن جميع أنواع الغلو في الاعتقادات والأعمال من باب أولى، والعــبرة بعموم اللفظ لها بخصوص السبب. .

وتأمل – وفقك الله – تحذيره ﷺ من الغلو في لفظ الحــديث المتقدم:

١ / « إياكم والغلو» .

٢/ الإخبار أن الغلو من هدي أهل الكتاب، والمؤمن مــأمور بمخالفة هديهم .

٣/ أن الغلو سبب لهلاك الأمم .

وجاء عنه ﷺ أنه قال: « هلك المتنطعون» [(١)] والتنطع التعمق في الشيء على خلاف الشرع، ومجاوزة الحد .

ومما جاء في كلام رسول الله ﷺ لوفد بني عامر حين قــدموا على رسول الله ﷺ فقالوا: «أنت سيدنا» قال: « السيد الله تبارك وتعالى». فقالوا: أنت أفضلنا فضلاً، وأعظمنا طَوْلاً. فقال: «قولوا

(١) مسلم (٢٦٧٠) .

بقولكم، أو بعض قولكم، ولا يستجدنكم الشيطان»[(١)]، فنـهاهم ﷺ عن المبالغة في المدح، وقال لهم: تكلموا بمـا يحـضركم، ولا تتكلفوا، كأنكم وكلاء للشيطان تنطقون على لسانه .

ولا شك أن أعظم من نحب من الخلق رسول الله ﷺ، فمحبته وتوقيره دين يدين العبد به، ولا إيمان لمن لم يكن الرسول ﷺ أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾[(٢)] .

قال القاضي عياض في شرح الآية: (فكفى بهذا حظاً وتنبيهاً ودلالة وحجة على إلزام محبته، ووجوب فرضها، وعظم خطرها، واستحقاقه لها ﷺ ، إذا قرّع الله من كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله، وتوعدهم بقوله تعالى: ﴿ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ثم فسقهم

(١) أبو داود، وصححه الألباني، صحيح سنن أبي داود (٤٨٠٦) .
(٢) سورة التوبة، الآية : ٢٤ .

بتمام الآية، وأعلمهم أنهم ممن ضل و لم يهده الله)[(١)].

وقال رسول الله ﷺ : « ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم : ﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾ »[(٢)] وقال ﷺ : « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »[(٣)].

لكن محبة رسول الله ﷺ وتوقيره يكون بما وقره به أصحابه رضوان الله عليهم وعظموه، فاتباع سبيلهم في ذلك لا يشك مؤمن في أنه أهدى سبيلاً، ومن أهم وجوه توقيرهم له : أنهم لم يكونوا أسرع منهم في شيء من تنفيذ أمره واتباع سنته وهديه، وكثرة الصلاة والسلام عليه.

ومما قاله عمرو بن العاص وهو على فراش الموت يصف توقيره لرسول الله ﷺ : «وما كان أحد أحب إليّ من رسول الله ﷺ ، ولا أجل في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه إجلالاً له، ولو سئلت أن أصفه ما أطقت، لأني لم أكن أملأ عيني منه»[(٤)].

---

(١) الشفا بتعريف أحوال المصطفى ٢/١٨ .

(٢) البخاري (٤٧٨١) .

(٣) مسلم (٨٦٧) .

(٤) مسلم (١٢١) .

وكان أبو طلحة بين يدي النبي ﷺ يوم أحد مجوّباً عليه، ويقول: « يا نبي الله بأبي أنت وأمي لا تُشْرف يصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك» [(١)].

ومن آخر ما تكلم به سعد بن الربيع، وهو يلفظ أنفاسه يوم أحد، يبلِّغ قومه من الأنصار: « لا عذر لكم عند الله، إن خلص إلى رسول الله ﷺ وفيكم عين تطرف» [(٢)].

هذا الشرف افتداء رسول الله ﷺ بالأرواح، وإن كان قد فات من أتى بعد رسول الله ﷺ، فقد بقي لمن أتى بعده ما يكون لمن أتى به دليلاً على حبه ﷺ، وهو طاعته، والاقتداء والتمسك بهديه، والاستنان بسنته، وتقديمها على النفس والمال والأهل، وعلى العادات والرغبات، وعلى ما يخالفها من الموروث عن الشيوخ والآباء والأجداد، فمن خالف هوى نفسه، وآثر هدي رسول الله ﷺ إذ سمعه، كان حقاً ممن عظمه ووقره، وقدمه على نفسه، كما كان أصحاب رسول الله ﷺ يقدمونه على أنفسهم.

أما من ادعى المحبة وبالغ في مدحه، ووقع في الغلو الذي نهاه ﷺ عنه حيث قال على المنبر: «لا تطروني كما أطرت النصارى

---

(١) البخاري (٣٨١١).

(٢) دلائل النبوة (٣/ ٢٨٥).

ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»[١].

وقال رجل للنبي ﷺ : يا سيدنا وابن سيدنا، ويا خيرنا وابـن خيرنا، فقال النبي ﷺ: «يا أيهـا النـاس قولـوا بقـولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبدالله، ورسول الله، وما أحب أن ترفعوني فوق ما رفعني الله عز وجل »[٢].

وعجبي لمن اشتغل بترديد قصائد مدح فيها غلو في حقه ﷺ، ومحادة لأمره، يقول أحدهم:

يا أكرم الخلق مالي مـن ألوذبـه سواك عند حلول الحادث العمـم

إن لم تكن في معادي آخذًا بيدي فضلاً وإلا فقل يـا زلـة القـدم

بل وبلغ الحال ببعض القوم أن ادعوا أنه ﷺ يعلم جميع ما كان وما يكون من المخلوقات والموجودات لا تخفى عليه منه خافية، وأن من علومه ﷺ علم اللوح والقلم، مع أن الله تعالى يقول: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُ ﴾[٣].

---

(١) البخاري (٣٢٦١) .

(٢) أحمد (١٣٥٥٣)، وصححه الألباني في الصحيحه (١٥٧٢) .

(٣) سورة الأعراف، الآية : ١٨٨ .

يقول ابن كثير: (أمر الله نبيه ﷺ أن يفوض الأمور إلى الله، وأن يخبر عن نفسه أنه لا يعلم الغيب المستقبل، ولا اطلاع له على شيء من ذلك إلا بما أطلعه الله عليه كما قال تعالى: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1] .

وصار بعض الناس يدعو رسول الله ﷺ من دون الله، ويحلف به، ويتمسح بالحجرة التي فيها قبره، ويحلف بالقبة التي على قبره، وكل هذا عين المحادة والمخالفة لأمر الله، ورسوله ﷺ ، والمخالفة لهدي السلف الصالح، والخير كل الخير في اتباع سبيلهم، وسلوك طريقهم. والخير كل الخير في لزوم أمره ﷺ ، واجتناب نهيه.

كيف تزعم حبه، وأنت تعصي أمره، وتخالف هديه، وتفعل عين ما نهاك عنه؟! ذلك لعمري في القياس عجيب. وما مثل من فعل ذلك إلا كمثل من ادعى حب والده، وتعظيمه، وحرّف كلام الوالد في غيبته، وعمل بضدّه، لا شك أن محبته ناقصة متهمة .

ومن تقرب إلى النبي ﷺ بما لا يحبه، وقع فيما يبغضه، فإن لم يكن الأمر محبوباً للنبي ﷺ فماذا عساه أن يكون ؟

---

(١) التفسير (٢/ ٢٧٤) .

ورسول الله ﷺ يؤذيه أن تستهوينا الشياطين، وقد نهانا الله أن نؤذيه فقال: ﴿ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ ﴾ [(١)]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ﴾ [(٢)].

فاقتف مسلك الاتباع، وذر الاختراع، وعليك بعرض جميع اعتقاداتك، وأقوالك، وأعمالك على السنة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم، فإن وافقتها فذاك الخير والهدى، وإن خالفتها فلا تكن ممن بدل دين الله، وخالف أمره، وشاقق رسوله ﷺ.

ووَقِرْ رسول الله ﷺ بما يحبه من الصلاة عليه، والتمسك بهديه، والعمل بسنته، وسدّ باب الغلو فيه الذي يؤدي إلى ما لا يحبه، حتى صيغ الصلاة عليه ﷺ، من تتبعها في كتب الأئمة المتقدمين: أبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، والبخاري، ومسلم وغيرهم لوجدهم يتقيدون فيها بما ورد، اقتداء بما كان عليه الصحابة أعلام الهدى، وكل ما ورد في كتب أهل الحديث عامته على هذا النحو «اللهم صلّ على محمد» وهذا الإمام الشافعي – أعلى الله درجته–

---

(١) سورة الأحزاب (٥٣).

(٢) سورة النساء (١١٥).

وهو من أكثر الناس تعظيماً للنبي ﷺ ، قال في خطبة كتابه الذي هو عمدة أهل مذهبه (اللهم صل على محمد) إلى آخره. وقد عقد القاضي عياض باباً في صفة الصلاة على النبي ﷺ في كتاب (الشفاء) ونقل فيها آثاراً مرفوعة عن جماعة من الصحابة والتابعين ليس في شيء عن أحد من الصحابة وغيرهم لفظ (سيدنا) (١) .

فما أحوجنا أن نرتقي بفهمنا في توقير رسول الله ﷺ، ومحبته إلى ما كان عليه أصحابه والتابعون لهم بإحسان، وما قيل في محبة النبي ﷺ يقال في توقير الأولياء ومحبتهم، فأولياء الله هم أحباؤه، وخاصته المقربون منه، يحبهم ويحبونه، عرّفهم القرآن بأنهم : الذين آمنوا وكانوا يتقون، يقول تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴾ (٢) . فعدة الولي: الإيمان والتقوى، الإيمان بما أنزل الله على محمد ﷺ باتباع شريعته وهديه ظاهراً وباطناً، والتقوى التي هي طاعة الله ورسوله، بأداء الفرائض وترك المنهيات، والتقرب إلى الله بما شرعه من النوافل والقربات.

---

(١) انظر : الشفا (١/ ١٠٨)، القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع لابن قيم الجوزية (١٤٨)، نيل الأوطار للشوكاني (٢/ ٣٣٧)، صفة صلاة النبي ﷺ للألباني (١٧١) .

(٢) سورة يونس، الآية : ٦٣ .

وفي حديث عمر – رضي الله عنه – قال: قال النبي ﷺ : «إن من عباد الله لأناساً ما هم بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى. قالوا: يا رسول الله تخبرنا من هم ؟ قال: هم قوم تحابوا برُوح الله على غير أرحام بينهم، ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور، وإنهم على نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس، وقرأ هذه الآية: ﴿ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾ »[1].

ومحبة أولياء الله فرض، ومعاداتهم معصية وكبيرة، والتأسي والاقتداء بأعمالهم الصالحة واجب، ومن عاداهم، فقد بارز الله بالحرب، وصح في الحديث القدسي أن الله عز وجل يقول: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب»[2]، ومن بارز الله بالعداء قصمه، فلا يفلح .

وصح عن النبي ﷺ في جوابه للرجل الذي قال له: ما أعددتُ لقيام الساعة كبير عمل إلا أني أحب الله ورسوله، قال له ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فما فرحنا بشيء فرحنا بقول

---

(١) أبو داود، وصححه الألباني (٣٥٢٧) .

(٢) البخاري (٦٥٠٢) .

النبي ﷺ: «أنت مع من أحببت». قال أنس: فأنا أحب النبي ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم بحبي إيّاهم، وإن لم أعمل بمثل أعمالهم[(١)].

وقد قال تعالى في مجالسة الأخيار، ومصالحة الأبرار ومحبتهم: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[(٢)].

والانتفاع بمحبة الصالحين مشروط بأن يكون الحب في الله، لما ظهر على ذلك الشيخ أو الولي من طاعة الله ورسوله، والخير الذي يحبه الله ورسوله، أما من أحب شيخاً ليظفر بحاجته، مثل أن يحبه لدنيا يصيبها، أو جاه يحصل عليه، أو تعصب له؛ لأنه من فرقته وطائفته، فهذا أحب لنفسه لا لربه .

ومحبة الأولياء تقتضي الدعاء والترحم على الأموات منهم، وذكر سيرهم وأحوالهم للتأسي بهم، دون مغالاة أو إطراء يؤدي إلى فساد اعتقاده فيهم، وتقتضي – أيضاً – حسن صحبة الأحياء منهم، ممن نظن فيهم الخير والصلاح، لما في صحبتهم من الدلالة على الخير، والتنبيه على التقصير، والإرشاد إلى ما ينفع من طاعة الله

---

(١) البخاري (٣٦٨٨) .
(٢) سورة الكهف (٢٨) .

تعالى، وطاعة رسوله ﷺ ، ولما يرجى من إجابة دعائهم، وفي صحيح مسلم [١] أن النبي ﷺ قال عن أويس القرني: « إن خير التابعين رجل يقال له أويس وله والدة، وكان به بياض، فمروه فليستغفر لكم » .

فتوقيرهم ومحبتهم تكون بالتأسي بهم في سيرتهم، وعباداتهم، وزهدهم، وورعهم، واتباعهم للشرع، فمن أحبهم بذلك كان بهم باراً، ولهم موقراً، ومتسبباً فيما ينفعهم؛ لأن أجورهم تكثر بكثرة المتأسين بهم، وجدير بمن وقّرهم أن يحشر معهم .

ومن الناس من همه في توقيرهم المبالغة في التحدث بكراماتهم ما يصح منها وما لا يصح، والأكل باسمهم، والغلو في مقاماتهم، والحلف بهم من دون الله، والاحتفال عند أضرحتهم بإيقاد السرج، وتقديم الذبائح والنذور، والهيام بالأناشيد، وقصائد المديح التي ينطوي بعضها على الغلو فيهم، واعتقاد خروجهم من قبورهم، وحضرتهم مع أهل (الحضرة) في الأضرحة، وأن لهم تصرفاً ومقامات، ينفعون من انتمى إليهم، ويضرون من اعترض عليهم حتى صاروا يخشونهم ولا يخشوا الله تعالى، ويرهبونهم ولا يرهبون الله تعالى..

---

(١) ٢٥٤٢ .

ويقدمون لهم النذور، ويطروهم بما حذر رسول الله ﷺ منه في قوله ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله» يحلف الواحد منهم بالله كاذباً ولا يخشى سطوته وانتقامه، ولا يحلف بالولي كاذباً، خوفاً من أن يقصم الولي ظهره، أو يخلي له داره، أو يفقده ولده، أو يصيبه بداء لا يقوم منه .

وقد أدت المبالغات في تعظيم الأولياء إلى أن صارت مكانة الأولياء في قلوب البعض عند نزول المكروه أقرب إليهم من الباري عز وجل، فإذا مسّ الواحد منهم ضر فزع إلى الولي بالنذر والاستغاثة (يا سيدي فلان) دون شعور ولا تردد، فانظر كيف فعلت المبالغة في التعظيم فعلها حين غفلوا عن الحي القيوم .

ومنهم من ادعى علم الأولياء للغيب، ونظرهم في اللوح المحفوظ، وعصمتهم من الخطأ والزلل، مع أن العصمة إنما هي للأنبياء ومن عداهم قد يخطئ، فقد كان عمر – رضي الله عنه – رأس الملهمين ومع ذلك كان ربما رأى الرأي، فيخبره بعض الصحابة بخلافه، فيرجع إليه، ويترك رأيه. وتأمل قول الله: ﴿ وَلَا

يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ ... فإذا نهى الرب عن اتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً، فكيف بمن دونهم من المشايخ وغيرهم.

فمن كان محبته للأولياء بما ذُكِر، فإنه مُعْرِض في الحقيقة عن أولياء الله، غير محب لهم، ولا موقر لهم، لأن هديهم من هديه ﷺ ، ومن فعل باسمهم خلاف هدي رسول الله ﷺ فهم براء منه، وإن لزم أضرحتهم، وأنفق عليها ماله، ولو كانوا أحياء، ولهم قدرة على نصحه، لنصحوه، ومنعوه .

٤ – « نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها » :

لقد حث الشرع على زيارة القبور؛ لأنها تذكر العبد بمآله، وخاتمة أمره، وزيارة القبور مأذون فيها، مندوب إليها للرجال عند جمهور العلماء [(١)]؛ لما جاء في الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «نهيتكم عن زيارة القبور، فزوروها » [(٢)] وفي رواية: « فزوروا القبور فإنها تذكر الموت» [(٣)]. وفي رواية للإمام أحمد: «نهيتكم عن زيارة القبور، ثم بدا لي أنها ترق القلب، وتدمع العين، وتذكر الآخرة، فزوروها، ولا تقولوا هجراً» [(٤)] أي: كلاماً فاحشاً .

وهذه الأحاديث نص في الأمر بزيارة القبور، ومن العلماء من حمله على مجرد الإذن والإباحة؛ لأنه أمر بعد حظر، ومنهم من حمله على الاستحباب والندب، وهم الجمهور لقرينة تذكر الموت [(٥)].

وينبغي لمن عزم على زيارة القبور أن يتأدب بآداب الزيارة الشرعية، فينوي الزيارة متعظاً بالموت، معتبراً بحال الأموات، راجياً

---

(١) ينظر : الفتح (٣/ ٣٩٠) .

(٢) مسلم : ٩٧٧ .

(٣) مسلم : ٩٧٦ .

(٤) المسند (١٣١٥١٢)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٥٨٤) .

(٥) ينظر : المجموع (٥١/٢٨١)، الإنصاف (٢/ ٥٦١) .

نفع الميت بالدعاء له؛ فإذا وصل المقبرة اقتدى بما كان رسول الله ﷺ يعلمه أصحابه إذا خرجوا إلى المقابر ويقول: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله للاحقون، أسأل الله لنا ولكم العافية[1].

وفي الصحيح عن عائشة قالت: كيف أقول لهم يا رسول الله (يعني لأهل القبور) قال: قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، ويرحم الله المستقدمين منا والمستأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون[2].

ويجوز رفع اليدين في الدعاء للموتى، لحديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: «خرج رسول الله ﷺ ذات ليلة، فأرسلت بريرة في أثره لتنظر أين ذهب! قالت: فسلك نحو بقيع الغرقد، فوقف في أدنى البقيع ثم رفع يديه، ثم انصرف، فرجعت إليّ بريرة، فأخبرتني، فلما أصبحت سألته، فقلت: يا رسول الله أين خرجت الليلة؟ قال: بعثت إلى أهل البقيع لأصليّ عليهم[3]. أي (أدعو لهم).

---

(١) مسلم : ٩٧٥ .

(٢) مسلم : ٩٧٤ .

(٣) أحمد (٢٤٦٥٦)، وحسن إسناده الألباني في أحكام الجنائز (٢٤٦) .

واحذر – حماك الله – أن تخالف الزيارة الشرعية بأمور سأنص عليها، فاجمع لي قلبك، أجمع لك ما ورد في صحاح السنن، فالزم الحذر من الوقوع في أي مخالفة شرعية – وفقك الله لكل خير :

١/ **إيّاك واتخاذ القبور مساجد،** فإن رسول الله ﷺ قال: «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(١)] .

وقال ﷺ : « ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد، إني أنهاكم عن ذلك»[(٢)] ، وقال : «لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»[(٣)] .

وفسر العلماء «اتخاذ القبور مساجد» الذي وقع التحذير منه، ولُعِن فاعله بما يأتي:

١ – أن يُدفن الميت في فضاء من الأرض، فيبني عليه أهله أو تلاميذه، أو مريدوه مسجداً، وهذه الحالة داخلة في النهي باتفاق العلماء، وفاعل ذلك معرض نفسه للعن.

---

(١) الموطأ (٤١٦) .

(٢) مسلم (٥٣٢) .

(٣) البخاري (١٣٩٠) .

ولا خلاف بين العلماء المعروفين بأن المساجد المبنية على قبور الأنبياء والصالحين يتعين إزالتها بهدم أو بغيره .

٢ – أن يكون المسجد بني أولاً، فيدفن فيه الميت بعد بنائه، كأن يوصي الميت بذلك أو يتطوع تلاميذه بدفنه فيه، وهذا منهي عنه، محذر منه. يقول النووي في المجموع: «وأما حفر القبر في المسجد فحرام شديد التحريم» [١] .

٣ – السجود لقبور الأنبياء والصالحين، تعظيماً لها، وقصداً لعبادتها، كما كانت تفعل اليهود والنصارى، وهذا شرك بالاتفاق .

٤ – تحري الصلاة في مدافن الأنبياء والصالحين، والتوجه إلى قبورهم واستقبالها في الصلاة، بأن تكون قبلة المصلي حين عبادة الله تعالى، اعتقاداً منه بأن عبادته بذلك تكون أكثر أجراً، وأعظم قبولاً عند الله تعالى، وهذا حرام لظاهر النهي، ولحديث أبي مرثد الغنوي، قال: قال رسول الله ﷺ : «لا تجلسوا على القبور، ولا تصلوا إليها» [٢] .

---

(١) المجموع ٢/ ١٧٦ .

(٢) أبو داود (٣٢٩٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٢٢٩) .

قال المناوي شارحاً للحديث: « أي: مستقبليها إليها، لما فيه من التعظيم البالغ؛ لأنه من مرتبة المعبود، فجمع – يعني الحديث بتمامه – بين النهي عن الاستخفاف بالتعظيم، والتعظيم البليغ »[١].

وينبغي أن يعلم أن التحريم المذكور إنما هو إذا لم يقصد بالاستقبال تعظيم القبر، وإلا فهو شرك، قال الشيخ علي القاري في «المرقاة»[٢]: «ولو كان هذا التعظيم حقيقة للقبر، ولصاحبه لكفر المُعظِّم».

قال ابن عبدالبر عند شرحه لحديث: «لعنة الله على اليهود..»: « كل ما احتمله الحديث في اللسان العربي فممنوع منه؛ لأنه إنما دعى على اليهود محذراً لأمته عليه الصلاة والسلام من أن يفعلوا فعلهم»[٣].

فإن قال قائل: فما تقولون في قبر النبي ﷺ الآن ؟ أليس هو في المسجد، فهل الحال التي هو عليها داخلة في الوجه الثاني من الوجوه المتقدمة المنهي عنها ؟

---

(١) فيض القدير ٢/ ١٠٨ .
(٢) ٢/ ٣٧٢ .
(٣) التمهيد ٦/ ٣٨٣ .

فالجواب : ١/ إن النهي عن اتخاذ القبور مساجد يصدق كما تقدم بحالة ما إذا كان هناك قبر في فضاء من الأرض، فأقيم عليه مسجد، أو كان هناك مسجد، فيقبر فيه ميت ابتداء، وقبر النبي ﷺ لا يصدق عليه هذا ولا ذاك، فلم يبـن على قبره المسجد، ولا قبره ﷺ دفن في المسجد، وإنما دفن ﷺ في بيته، ولما توسع المسجد اتصل به .

٢/ أن إدخال الحجرة في المسجد كان في خلافة الوليد بن عبدالملك بعد موت الصحابة – رضوان الله عليهم - الذين كانوا بالمدينة، وقد كره سعيد بن المسيب فعل الوليد .

٣ / ذكر النووي أنه لما احتيج إلى إدخال الحجرة إلى المسجد جاءت الاحتياطات لحماية قبر رسول الله من اتخاذه مسجداً، يقول النووي: « ... وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه، ومنها حجرة عائشة –رضي الله عنها– مدفن رسول الله ﷺ، وصاحبيه أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما – فبنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله؛ لئلا يظهر في المسجد فيصلي إليه العوام، ويؤدي إلى المحذور، ثم بنوا جدارين من ركني القبر

الشماليين، وحرفوهما حتى التقيا، حتى لا يتمكن أحد من استقبال القبر» [(١)].

وما يحصل من الناس الجهال إنما يكون في مسجد الرسول ﷺ وليس عند القبر، لأن القبر في مكان محفوظ، محاط بثلاثة جدران، وقد جُعِلت الجدران في زاوية منحرفة عن القبلة أي مثلثة، والركن في الزاوية الشمالية، بحيث لا يستقبله الإنسان إذا صلى؛ لأنه منحرف. وما ذاك إلا استجابة الله سبحانه لدعوة النبي ﷺ « اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد » .

ورحم الناظم حين قال :

ولقـد نهانـا أن نـصير قـبره   عيداً حذار الـشرك بـالرحمن
ودعا بأن لا يجعل القـبر الـذي   قد ضمه وثنـاً مـن الأوثـان
فأجـاب رب العـالمين دعـاءه   وأحاطـه بثلاثـة الجـدران
حتى اغتدت أرجـاؤه بدعائـه   في عـزة وحمايـة وصـيان

٢ – السنة ألا يرفع القبر على الأرض ارتفاعاً كثيراً، فقد بعث النبي ﷺ علياً وأمره بتسوية القبور المُشْرِفة، والمأذون فيه هو

(١) شرح مسلم (٥/ ١٧) .

ارتفاعها قدر شبر؛ لتعرف وتحترم، ففي الصحيح عن سفيان التّمار أنه رأى قبر النبي ﷺ مُسَنّماً [(١)] . والمسنم : أي مرتفعاً قليلاً على هيئة السنام. وما يفعله الناس اليوم من تشييد القبور، ورفعها، والبناء عليها، مخالف للسنة باتفاق العلماء، من غير فرق بين صالح وطالح، إذ لم يفعله رسول الله ﷺ لأصحابه الذين ماتوا قبله، وهم أهل الصلاح والفضل، و لم يزد حين دفن عثمان بن مظعون على أن علّم قبره بحجر، وضعه عند رأسه، وقال: «أتعلّم بها قبر أخي، وأدفن إليه من مات من أهلي » [(٢)] .

وقد مات رسول الله ﷺ و لم يشيد أصحابه قبره ولا بنوا عليه، وأمر فضالة بن عبيد بقبر فسوِّي، وقال: « سمعت رسول الله ﷺ يأمر بتسويتها » [(٣)] .

وفي حديث جابر: « نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر، وأن يقعد عليه، وأن يبنى عليه» [(٤)] ، وزاد أبو داود بسند صحيح: «وأن يكتب عليه» .

---

(١) البخاري (١٣٩٠) .

(٢) أبو داود، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٣٢٠٦) .

(٣) مسلم (٩٦٨) .

(٤) مسلم (٩٧٠) .

قال النووي: « قال أصحابنا وسواء كان المكتوب على القبر في لوح عند رأسه كما جرت عادة بعض الناس، أم في غيره، فكله مكروه لعموم الحديث»[(١)]، واستثنى بعض العلماء كتابة اسم الميت لا على وجه الزخرفة، بل للتعرف قياساً على وضع النبي ﷺ الحجر على قبر عثمان بن مظعون. قال الألباني: « والصواب تقييده بما إذا كان الحجر لا يحقق الغاية التي من أجلها وضع رسول الله ﷺ الحَجَر، ألا وهي التعرف عليه، وذلك بسبب كثرة القبور مثلاً، وكثرة الأحجار المُعَرِّفة، فحينئذ يجوز كتابة الاسم بقدر ما تتحقق به الغاية المذكورة»[(٢)].

ومن هنا تعلم أن المنهي عنه في القبور :

١/ تحصيصها . ٢/ البناء عليها .

٣/ الكتابة عليها . ٤/ القعود عليها .

يقول الشوكاني: « فيه أن السنة أن القبر لا يرفع رفعاً كبيراً من غير فرق بين من كان فاضلاً ومن كان غير فاضل، والظاهر أن رفع القبور زيادة على القدر المأذون فيه محرم، وقد صرح بذلك أصحاب أحمد والشافعي ومالك ... ومن رفع القبور الداخل تحت

---

(١) المجموع (٥/ ٢٩٨) .

(٢) أحكام الجنائز (٢٦٣) .

الحديث دخولاً أولياً: القبب، والمشاهد المعمورة على القبور، وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد، وقد لعن النبي ﷺ فاعل ذلك، وكم قد نشأ عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاسد يبكي لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع، ودفع الضرر، فجعلوها مقصداً لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال وتمسحوا واستغاثوا، وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون، ومع هذا المنكر الشنيع، والكفر الفظيع، لا نجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الحنيف، لا عالماً ولا متعلماً، ولا أميراً ولا وزيراً ولا ملكاً، وقد توارد إلينا من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم، إذا توجهت عليه يمين من جهة خصمة حلف بالله فاجراً، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الوليّ الفلاني، تلعثم وتلكأ وأبى واعترف بالحق. وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال: إنه تعالى ثاني اثنين، أو ثالث ثلاثة. فيا علماء الدين ويا ملوك المسلمين أي رزء للإسلام أشد من الكفر، وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأي منكر يجب إنكاره إن

لم يكن إنكار هذا الشرك واجباً .

لقد أسمعت لو ناديت حيا ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً نفخت بها أضاءت ولكن أنت تنضح في الرماد»[(١)] .

٣/ احذر أن تطوف بقبر أو تتبرك به :

الطواف عبادة عظيمة، والعبادات مبناها على التوقيف، وجماع الدين شيئان: ألا نعبد إلا الله تعالى، وأن نعبده سبحانه بما شرع، لا نعبده بالبدع، كما قال تعالى: ﴿ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً ﴾ . قال الفضيل بن عياض: أخلصه وأصوبه، قيل له: ما أخلصه وأصوبه؟ قال: إن العمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل، حتى يكون خالصاً صواباً، والخالص أن يكون لله . والصواب أن يكون على السنة.

والطواف لا يشرع إلا بالبيت العتيق باتفاق المسلمين. ولهذا اتفقوا على تضليل من يطوف بغير ذلك، مثل من يطوف بالصخرة، أو بحجرة النبي ﷺ ، أو بالمساجد المبنية بعرفة أو منى أو غير ذلك

---

(١) نيل الأوطار (٤/٧٢)، وللشوكاني – رحمه الله – رسالة لطيفة نافعة في هذا الباب أسماها « شرح الصدور في تحريم رفع القبور ».

أو بقبر بعض المشايخ أو بعض أهل البيت، كما يفعله كثير من جهال المسلمين.

يقول النووي : «لا يجوز أن يطاف بقبر النبي ﷺ »(١) .

وفي فتاوى اللجنة الدائمة « الطواف بالقبور حرام، وإن قصد التقرب إلى من فيها من الموتى فهو شرك أكبر يخرج من الإسلام؛ لأن الطواف عبادة، لقوله تعالى: ﴿ وَلْيَطَّوَّفُواْ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ ، وصرف العبادة أو شيء منها إلى غير الله شرك »(٢) .

ويقول ابن الحاج : « ترى من لا علم عنده يطوف بالقبر الشريف كما يطوف بالكعبة الحرام، ويتمسح به، ويقبله، ويلقون عليه مناديلهم وثيابهم يقصدون به التبرك، وذلك كله من البدع؛ لأن التبرك إنما يكون بالاتباع له – عليه الصلاة والسلام – وما كان سبب عبادة الجاهلية للأصنام إلا من هذا الباب، ولأجل ذلك كره علماؤنا – رحمة الله عليهم – التمسح بجدار الكعبة أو بجدران المسجد أو بالمصحف إلى غير ذلك مما يتبرك به، سداً لهذا الباب ولمخالفته للسنة؛ لأن صفة التعظيم موقوف عليه ﷺ، فكل ما

---

(١) الإيضاح في مناسك الحج والعمرة (١٠٨).

(٢) مجموع الفتاوى (٤١٥٨) .

عظمه رسول الله ﷺ نعظمه، ونتبعه فيه »[١].

وللتبرك بالأضرحة، والقبور، والمقامات، والمشاهد مظاهر كثيرة، منها: تقبيل الحيطان، ومسح الجدران، وتقبيل الأعتاب، وتقبيل الأضرحة. يقول الذهبي – رحمه الله – عندما ترجم للسيدة نفيسة: « ولجهلة المصريين فيها اعتقاد يتجاوز الوصف، ولا يجوز مما فيه من الشرك، ويسجدون لها، ويلتمسون منها المغفرة، وكل ذلك من دسائس دُعاة العبيدية »[٢].

وجاء في المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان: « السجود على التربة المسماة تربة الولي، إن كان المقصود منه التبرك بهذه التربة والتقرب إلى الولي فهذا شرك أكبر، وإن كان المقصود التقرب إلى الله مع اعتقاد فضيلة هذه التربة، وأن في السجود عليها فضيلة كالفضيلة التي جعلها الله في الأرض المقدسة في المسجد الحرام، والمسجد النبوي والمسجد الأقصى فهذا ابتداع في الدين، وقول على الله بلا علم، وشرع دين لم يأذن به الله، ووسيلة من وسائل الشرك؛ لأن الله لم يجعل لبقعة من البقاع خاصة على غيرها غير المشاعر المقدسة، والمساجد الثلاثة، وحتى هذه المساجد لم يشرع لنا

---

(١) المدخل (١/١٨٩) .

(٢) السير (١٠/ ١٠٦) .

أخذ تربة منها، نسجد عليها .. ولم يخصص بقعة دون بقعة، ولا تربة دون تربة، وإنما هذا من افتراء الذين لا يعلمون، وتضليل الدجالين والمبطلين الذين يشرعون للناس ما لم يأذن به الله »[١].

بل وأعجب من هذا من يبيت عند القبر، ويعتكف عنده، ويجاوره، حماك الله من كل ضلالة .

٤/ لا تذبح عند قبر؛ لأن الذبح عند القبر من عادات الجاهلية التي أبطلها الإسلام، فلا يجوز للمسلم أن يصحب حيواناً ويسوقه ليذبحه في مكان من الأمكنة، تبركاً بذلك المكان، وتقرباً إلى الله تعالى إلا إلى مكة المكرمة، فإن ذلك سنة، وما عدا ذلك من سوق الحيوان إلى مكان آخر سواءً قبراً أو ضريح ولي لا يجوز باتفاق العلماء، قال ﷺ : «لا عقر في الإسلام»[٢]، قال عبدالرزاق بن همام : كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة.

قال النووي: « وأما الذبح والعقر عند القبر فمذموم لحديث أنس هذا، رواه أبو داود والترمذي وقال: حسن صحيح»[٣].

---

(١) المنتقى من فتاوى الشيخ صالح الفوزان (٢/ ٨٦) .

(٢) أبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود (١١٠٢).

(٣) المجموع ٥/ ٣٢٠ .

وكره الإمام أحمد أكل لحم ما ذبح عند القبور [(١)] .

هذا إذا كان الذبح هناك لله تعالى، وأمّا إذا كان لصاحب القبر كما يفعله بعض الجهّال فهو شرك صريح، وأكله حرام وفسق كما قال تعالى: ﴿ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [(٢)]، وفي الحديث: « لعن الله من ذبح لغير الله » [(٣)] .

ورحم الله الصنعاني حين قال: « فإن قال: إنما نحرت لله وذكرت اسم الله عليه، فقل: إن كان النحر لله فلأي شيء قربت ما تنحره عند باب مشهد من تفضله وتعتقد فيه ؟ هل أردت بذلك تعظيمه ؟ إن قال: نعم، فقل: هذا النحر لغير الله، بل أشركت مع الله تعالى غيره، وإن لم ترد تعظيمه، فهل أردت توسيخ باب المشهد وتنجيس الداخلين إليه ؟ أنت تعلم يقيناً أنك ما أردت ذلك أصلاً، ولا أردت إلا الأول، ولا خرجت من بيتك إلا قاصداً له، ثم

---

(١) شرح المهذب ٥/ ٢٨٦ .

(٢) سورة الأنعام، الآية : ١٤٥ .

(٣) مسلم (١٩٧٧) .

وانظر : مسألة في الذبائح على القبور وغيرها للإمام الصنعاني، وأحكام الجنائز للألباني (٢٦٠).

كذلك دعاؤهم له. فهذا الذي عليه هؤلاء شرك بلا ريب»[١].

٥ / إياك والنذر للأضرحة :

اعلم – وفقك الله – أن النذر يأتي بمعنى إيجاب العبد على نفسه شيئاً تبرعاً من عبادة أو صدقة أو غير ذلك[٢].

وهو عبادة لا يجوز صرفها لغير الله؛ يقول تعالى: ﴿ يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ۝٧ ﴾[٣]، يقول الشيخ سليمان بن عبدالله: ﴿ يوفون بالنذر﴾ وجه الدلالة من الآية أن الله تعالى مدح الموفين بالنذر، والله تعالى لا يمدح إلا على فعل واجب أو مستحب، أو ترك محرم، لا يمدح على فعل المباح المجرد، وذلك هو العبادة[٤].

والنذر نوعان :

١/ نذر لله، وينقسم إلى نوعين نذر طاعة، ونذر معصية .

ومن أمثلة نذر الطاعة نذر الصيام والصدقة والحج والصلاة وما إلى ذلك، وكثير من أهل العلم على كراهة هذا النوع؛ لما رواه ابن

---

(١) تطهير الاعتقاد (٣٩٠) .
(٢) النهاية (٥/ ٣٣) .
(٣) سورة الإنسان، الآية : ٧ .
(٤) تيسير العزيز الحميد (١٦٩) .

عمر – رضي الله عنهما – حيث قال: نهى النبي ﷺ عن النذر، وقال: « إنه لا يرد شيئاً وإنما يستخرج به من البخيل»[(١)].

قال النووي: « يحتمل أن يكون سبب النهي عن النذر كون الناذر يصير ملتزماً له، فيأتي به تكلفاً بغير نشاط، قال ويحتمل أن يكون سببه كونه يأتي بالقربة التي التزمها في نذره على صورة المعاوضة للأمر الذي طلبه، فينقص أجره، وشأن العبادة أن تكون متمحضة لله تعالى، ويحتمل أن النهي لكونه قد يظن بعض الجهلة أن النذر يرد القدر، ويمنع من حصول المقدر، فنهى عنه خوفاً من جاهل يعتقد ذلك، وسياق الحديث يؤيد هذا»[(٢)].

فالنذر في أصله مكروه قبل عقد النية، ولكنه عند عقدها يصبح ملزماً بها، وتصبح عبادة واجبة بحقه، وعندما يلتزم الإنسان أداء ما أوجبه على نفسه فإنه هنا يحمد ويشكر .

ومن أمثلة نذر المعصية أن ينذر شرب خمر، أو سرقة أو فعل محرم، ونذر المعصية لا يجوز الوفاء به بإجماع العلماء. لحديث عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ : «من نذر أن

(١) البخاري (٦٦٠٨)، ومسلم (١٦٣٩) .

(٢) شرح صحيح مسلم (٤/ ١٠٣) .

يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه»[١].

واختلف العلماء هل تجب فيه كفارة يمين ؟ على قولين: أحدهما يجب وهو قول ابن مسعود وابن عباس وبه قال أبو حنيفة وأصحابه ورواية عن أحمد لحديث عائشة عن رسول الله ﷺ : «لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين »[٢].

والقول الثاني : لا كفارة عليه، وروى ذلك مسروق والشعبي والشافعي، لحديث عائشة المتقدم «ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» ولم يذكر فيه كفارة. والراجح الأول وحديث عائشة المطلق يحمل على المقيد، تعظيماً لاسم الله .

٢/النوع الثاني من أنواع النذر النذر لغير الله، وهو محرم، وجرم عظيم بل عده العلماء شركاً – نعوذ بالله من الضلال – يقول ابن نجيم: « وأما النذر الذي ينذره أكثره العوام – على ما هو مشاهد – كأن يكون للإنسان غائب، أو مريض، أو له حاجة ضرورية فيأتي بعض قبور العلماء، فيجعل سترة على رأسه فيقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي فلك من الذهب كذا، ومن الفضة كذا، ومن الطعام كذا، ومن الشمع كذا،

---

(١) أبو داود (٣٢٨٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود .

(٢) أبو داود، وصححه الألباني في إرواء الغليل (٢٥٩٠) .

ومن الزيت كذا، فهذا النذر باطل بالإجماع لوجوه منها :

أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز؛ لأنه عبادة، والعبادة لا تكون للمخلوق .

ومنها أن المنذور له ميت، والميت لا يملك نفعاً ولا ضراً. ومنها أنه إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله فاعتقاده كفر [١] .

والنذر للأضرحة له صور، تفصيل أحكامها الآتي :

١ — أن يقول الناذر : لله عليّ أن أتصدق بألف على ضريح فلان، أو أن أطعم الفقراء بضريح الإمام الشافعي، بمعنى أن النذر لله، وذكر صاحب الضريح لمجرد بيان الصدقة .

فهذا النذر لله يجب الوفاء به، ويتصدق الناذر بالألف على الفقراء بالمكان الذي هو فيه، ولا ينقلها إلى بلد صاحب القبر، هذا ما يفيده كلام ابن عرفة في مختصره، وابن عابدين في حاشيته [٢] . بل إن أهل العلم كرهوا الصدقة عند القبر، وأنكروا على من يضع الطعام والشراب ليأخذه الناس؛ لأن هذا أو نحوه من عمل كفار الترك لا من أفعال المسلمين .

---

(١) البحر الرائق (٢/ ٣٢١) .

(٢) رد المحتار (٢/ ٤٣٩) .

ولا يجوز أن توضع الصدقة في صندوق الضريح، ولا أن تعطى لغني، ولا للقائمين على خدمة القبر، ولا لأولاد صاحب القبر، لأنها للفقراء، فلا تحل لغني، ولا لمحترف يأكل أموال الناس باسم صاحب القبر.

ولا يجوز نذر ما لا يُنْتَفع به، كنذر شموع لإيقاد قنديل فوق ضريح الشيخ، فقد لعن النبي ﷺ زوارات القبور، والمتخذين عليها السرج .

قال ابن عابدين: (.. كما يفعل النساء من نذر الزيت لسيدي عبدالقادر، ويوقد في المنارة جهة المشرق فهو باطل، وأقبح منه النذر بقراءة المولد في المنابر، ومع اشتماله على الغناء واللعب وإهداء ثواب ذلك إلى حضرة المصطفى ﷺ)[١].

٢/ أن يقول الناذر : لله عليّ جزور أو خروف أذبحة عند الولي الفلاني، فالواجب عليه ذبحه لله في المكان الذي هو فيه، ولا يجوز له أن يذبحه عند قبر الولي؛ لقول النبي ﷺ : « لا عقر في الإسلام» فقد كانوا يعقرون عند القبر بقرة أو شاة، فنهاهم النبي ﷺ عن ذلك.

---

(١) رد المحتار (٢/ ٤٣٩).

وفي حديث ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلاً بِبُوانة (اسم مكان أسفل مكة دون يلملم) فأتى النبي ﷺ فقال: إني نذرت أن أنحر إبلاً ببوانة، فقال النبي ﷺ: «هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد» قالوا: لا. قال: «هل كان فيها عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا. قال رسول الله ﷺ : «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله، ولا فيما لا يملك ابن آدم»[(١)] .

فنهى النبي ﷺ الرجل أن يوفي بنذره، إذ كان في ذلك الموضع وثن، أو عيد من أعياد الجاهلية، حتى لو كان ذلك في الماضي وانقطع، والمراد أن لا يكون في الموضع الذي يقصده، ارتباط في النفوس باعتقاد معين في السابق أو الحاضر، فإن وجد شيء من ذلك كان النذر إليه معصية .

٣ — أن يقول الناذر : يا سيدي فلان إمّا عبدالسلام أو البدوي أو غير ذلك إن عوفي مريضي أو قضيت حاجتي فلك جزور أو ألف دينار، فهذا نذر باطل حرام؛ لأنه نذر لمخلوق، والنذر عبادة لا تكون إلا لله، ولا ينفع صاحبه؛ لأنه نذر لميت، والميت لا يملك، قال ابن عابدين : «إن ظن فاعل ذلك أن الميت يتصرف في الأمور

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٣١٣) .

دون الله تعالى، فاعتقاده ذلك كفر»[١].

وقد أفتى وزير الأوقاف المصري بحرمة هذا حيث قال: «إن النذر لأصحاب الأضرحة والأولياء الصالحين باطل بإجماع الفقهاء؛ لأنه نذر لمخلوق؛ والنذر عبادة، وهي لا تكون لمخلوق، وإنما تكون للخالق .. أما النذر لغير الله؛ فإنه فضلاً عن أنه باطل وغير مشروع لا يجوز الوفاء به»[٢].

٦ / لا تجعل القبر عيداً :

أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة —رضي الله عنه— قال: قال رسول الله ﷺ : « لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم »[٣].

والعيد اسم ما يعود من الاجتماع العام على وجه معتاد، عائد: إما بعود السنة، أو بعود الأسبوع، أو الشهر أو نحو ذلك .

قال المناوي: « معناه النهي عن الاجتماع لزيارته، اجتماعهم للعيد؛ إما لدفع المشقة؛ أو كراهة أن يتجاوزوا حدّ التعظيم. وقيل

---

(١) رد المحتار (٢/ ٤٣٩) .

(٢) نشرت جريدة الأخبار المصرية فتوى د. محمود حمدي في العدد (٢٧٣٣) بتاريخ ١٣ ذي القعدة ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٧/٣/٢٢م .

(٣) صحيح سنن أبي داود (٢٠٤٢) .

العيد ما يعاد إليه أي: لا تجعلوا قبري عيداً تعودون إليه متى أردتم أن تصلوا علي، فظاهره منهي عن المعاودة، والمراد المنع عما يوجبه، وهو ظنهم بأن دعاء الغائب لا يصل إليه ... ، ويؤخذ منه أن اجتماع العامة في بعض أضرحة الأولياء في يوم أو شهر مخصوص من السنة، ويقولون هذا يوم مولد الشيخ، ويأكلون ويشربون، وربما يرقصون فيه، منهي عنه شرعاً، وعلى ولي الشرع ردعهم على ذلك وإنكاره عليهم وإبطاله»[1].

وعن علي بن الحسين أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجة كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيدعو، فدعاه فقال: ألا أحدثك حديثاً سمعته عن أبي، عن جدي عن رسول الله ﷺ قال: «.. لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بيوتكم قبوراً، فإن تسليمكم يبلغني أينما كنتم »[2].

فانظر – رحمك الله – كيف كان فقه أهل المدينة، وأهل البيت الذين لهم من رسول الله ﷺ قرب النسب، وقرب الدار، حيث أنكر على من قصد القبر للدعاء عنده، وقد كره مالك – رحمه الله – لأهل المدينة كلما دخل الإنسان المسجد أن يأتي قبر النبي ﷺ ؛ لأن السلف لم يكونوا يفعلون ذلك، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا

---

(١) فيض القدير (٤/ ٢٦٣) .

(٢) مسند أبي يعلى (١/ ٣٦١)؛ وصححه الألباني في تحذير الساجد (٥٩) .

ما أصلح أولها، وكان الصحابة والتابعون – رضي الله عنهم – يأتون إلى مسجد النبي ﷺ فيصلون، فإذا قضوا الصلاة قعدوا أو خرجوا، لم يكونوا يأتون القبر للسلام عليه كل مرة، لعلمهم أن الصلاة والسلام عليه في الصلاة أكمل وأفضل، وأما دخولهم عند قبره للصلاة والسلام عليه هناك، أو للصلاة والدعاء فلم يشرعه لهم، بل نهاهم عنه في قوله: « لا تتخذوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني أين كنتم» فبين أن الصلاة تصل إليه من بعد، وكذلك السلام، ولعن من اتخذ قبور الأنبياء مساجد. وكانت الحجرة في زمانهم يُدخل إليها من الباب، إذ كانت عائشة – رضي الله عنها – فيها، وبعد ذلك إلى أن بُنِي الحائط الآخر، وهم مع ذلك التمكن من الوصول إلى قبره لا يدخلون عليه، لا للسلام ولا للصلاة، ولا للدعاء لأنفسهم ولا لغيرهم، ولا لسؤال عن حديث أو علم، ولا كان الشيطان يطمع فيهم حتى يسمعهم كلاماً أو سلاماً فيظنون أنه هو كلمهم وأفتاهم، وبيّن لهم الأحاديث، أو أنه قد ردّ عليهم السلام بصوت يسمع من خارج كما طمع الشيطان في غيرهم، فأضلهم عند قبره وقبر غيره، حتى ظنوا أن صاحب القبر يأمرهم وينهاهم، ويفتيهم ويحدثهم في الظاهر، وأنه يخرج من القبر، ويرونه خارجاً من القبر، ويظنون أن نفس أبدان الموتى خرجت تكلمهم، وأن روح الميت تجسدت لهم فرأوها كما رأهم النبي ﷺ

ليلة المعراج، والمقصود : أن الصحابة - رضي الله عنهم - لم يكونوا يعتادون الصلاة والسلام عليه عند قبره كما يفعله من بعدهم من الخلوف، وإنما كان بعضهم يأتي من خارج فيسلم عليه إذا قدم من سفر كما كان ابن عمر يفعله[(١)].

فإذا كان النهي عن اتخاذ القبر عيداً في حق النبي ﷺ فغيره أولى بالنهي كائناً من كان .

ومن مظاهر اتخاذ القبور أعياداً :

١ - إقامة الموالد الموسمية، كقولهم : هذا مولد الولي الفلاني، أو العالم الفلاني، وعلى سبيل المثال ما يحدث في مولد الحسين - رضي الله عنه - إذ يرى الموحدُ أموراً يندى لها الجبين، ويقرح قلوب المخلصين، حيث يبدأ الاستعداد قبل المولد بأسبوع بنصب السرادق في الساحات المحيطة حول المسجد؛ لاستقبال جموع الناس المتوافدين لزيارة الضريح المزعوم، حيث يبدأ مشايخ الطرق بالانتشار في هذه الساحات، وحولهم الأتباع، ويبدؤون بالرقص والطرب، ويصلون إلى مراحل من السكر والهيجان والإغماء حتى أذان الفجر، لا يوقفهم عن غيهم أذان، ولا صلاة بل تجد المغلوبين على أمرهم المغرر بهم يأتون بالقرابين، والنذور، والهبات، لترمى عند الضريح

---

(١) فتح المجيد (٢٢٤) .

وحوله، رجاء تفريج الكربات، فيتلقاها السدنة الأفاكون، ويعطوهم الوعود بأن مطالبهم ستتحقق، ورسائلهم وحوائجهم إلى صاحب المقام والضريح سترفع، وهكذا يتكرر هذا العيد الشركي في كل عام أسبوعاً، أمّا العيد الأسبوعي فعنه حدث ولا حرج، وفي طنطا عند مقام السيد البدوي ما يفتت الكبود، حيث يتوافد في صبيحة كل يوم جمعة من كل أسبوع عشرات الآلاف من مدن وقرى وأرياف مصر إلى هذا القبر، ليعكفوا عنده، ويطوفوا حوله، ويتمسحون بحوائطه وجدرانه، ولقد شوهدت امرأة تقف أمام الضريح في كل خشوع تتضرع إليه، وتتوسل، وترجوه رجاء الخائف الضرير، وتدعوه دعاء المذنب الذليل، وقد أبكت القلوب من شدة بكائها، ترجوه أن يفرج همها، وما علمت أنها تدعو من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. وغير ذلك مما يحزن قلب المؤمن الذي يقرأ في كتاب الرب ﴿ ۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ وهذه الأفعال المتقدمة محاكاة لليهود والنصارى حين اتخذوا قبور أنبياءهم وصالحيهم مساجد، حيث يقصدون العبادة عندها، وهو بعينه ما نهى عنه ﷺ، فأرباب الموالد لا يقصدون المشاهد والقبور إلا طلباً للبركة أو الاستغاثة، أو الدعاء، فيذبحون لها، ويطوفون بها، ويمرغون الخدود على أعتابها، ويدعون أصحابها، وهذا الفعل عين المحاداة لله ولرسوله ﷺ ، وهو

مناف لكلمة التوحيد لأن العبادة لا تكون إلا لله عز وجل، ومن صرف نوعاً من أنواعها لغير الله فقد وقع فيما يناقض (لا إله إلا الله).

٢ – ومن مظاهر اتخاذها عيداً زيارة القبور في ليلة النصف من شعبان، وإيقاد السراج عندها، وأخذ تراب القبور، وتوجيه خطابات الشكوى للأموات .

٣ – ومن اتخاذها أعياداً زيارة القبور بعد صلاة العيد التي حدثت في بعض البلدان، أو كل يوم جمعة، وكما تقدم أن العيد بمعنى المعاودة إما بعود السنة أو الأسبوع أو الشهر.

ولو كان هذا الفعل خيراً؛ لم نسبق رسول الله ﷺ وصحابته إليه.

ولذا زر القبور دون أن تحدد يوماً معيناً لذلك، واتعظ بزيارتك، وتذكر الآخرة، وفقك الله لكل خير، وعصمك من كل شر؛واحرص على توحيدك وثباتك على أمر ربك، وإياك وأحاديث القصاص، ورؤى المبطلين، وتعسف الجاهلين في تفسير ما تقدم من النصوص بالتأويلات البعيدة، والتمحلات الغريبة، والبحث عن معاذير التحليل للعامة، مع الإعراض عن الواضح من الدلائل المتبادر من فهم كلام الشارع، الذي عليه جمهور علماء المسلمين، وسلف

الأمة كيف وربك يقول: ﴿ وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ لَفَٰسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[١].

٥ – لا تذهب لساحر أو كاهن أو عرّاف أو منجم :

السحر من أعظم الكبائر الموبقات بل هو من نواقض الإسلام كما قال الله عز وجل في كتابه الكريم: ﴿ وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾[٢] فأخبر سبحانه في هاتين الآيتين أن الشياطين

---

(١) سورة المائدة (٤٩– ٥٠) .

(٢) سورة البقرة: ١٠٢ .

يعلمون الناس السحر، فالسحر عمل الشيطان، وأهم كفروا بذلك، وأن الملكين ما يعلمان من أحد حتى يخبراه أن ما يعلمانه كفر، وأهما فتنة.

وأخبر سبحانه أن متعلمي السحر يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم، وأهم ليس لهم عند الله من خلاق في الآخرة، والمعنى ليس لهم حظ ولا نصيب من الخير في الآخرة. وبين سبحانه أن السحر ضد الإيمان والتقوى.

وبهذا كله يعلم أن السحر كفر وضلال وردة عن الإسلام إذا كان من فعله يدعي الإسلام، وفي الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ (اجتنبوا السبع الموبقات؟) قلنا: وما هن يا رسول الله؟ قال: (الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات المؤمنات الغافلات)[1].

وفي هذا الحديث الصحيح: أن الشرك والسحر من السبع الموبقات أي المهلكات. والشرك أعظمها؛ لأنه أعظم الذنوب، والسحر من جملته، ولهذا قرنه الرسول ﷺ به؛ لأن السحرة لا يتوصلون إلى السحر إلا بعبادة الشياطين والتقرب إليهم بما يحبون

(١) البخاري (٢٦١٥)، مسلم (٨٩).

من الدعاء والذبح والنذر والاستعانة وإهانة المصحف لإرضائهم وغير ذلك.

وفي الحديث: «من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك» [١] وهذا يفسر قوله تعالى في سورة الفلق ﴿ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤ ﴾ [٢] قال أهل التفسير: إنهن الساحرات اللاتي يعقدن العقد، وينفثن فيها بكلمات شركية يتقربون بها إلى الشياطين؛ لتنفيذ مرادهم في إيذاء الناس، وظلمهم، ولا يجوز الذهاب للسحرة، وهم الذين يستخدمون الشياطين لإيذاء الناس من خلال ممارسات شركية.

ولا للكهنة وهم الذين يدعون علم الغيب وذلك عن طريق الأخذ عن مسترق السمع، حيث يسترق الشيطان الكلام من الملائكة، فيلقيه في أذن الكاهن.

ولا العرافين، والعرّاف: صيغة مبالغة من العارف. أو نسبة إلى العرافة، والعراف قيل: هو الكاهن، وهو الذي يخبر عن المستقبل.

---

(١) سنن النسائي (٤٠٧٩).

(٢) سورة الفلق: ٤

وقيل: هو اسم عام للكاهن والمنجّم والرمّال ونحوهم ممن يستدل على معرفة الغيب بمقدمات يستعملها، وهذا المعنى أعم، ويدل عليه الاشتقاق، إذ هو مشتق من المعرفة، فيشمل كل من تعاطى هذه الأمور وادعى بها المعرفة، ومن العرّافين: من يقرأ الكف، والفنجان، ومن يضرب الودع، أو الحصى، ويخط في الرمل، ومن يأخذ قبضة من تراب بيتك ليخبرك عن ماضيك أو مستقبلك، أو مناجاة حب البن.

والمنجم من يستدل بالأحوال الفلكية على الحوادث الأرضية.

وفي الحديث: «من اقتبس شعبة من النجوم، فقد اقتبس شعبة من السحر زاد ما زاد» [1] وعلم النجوم علمان: **علم** يعرف به سيرها ومدارها ومنازلها وأبعادها وأحجامها. وهذا علم الفلك أو علم التسيير لا بأس بتعلمه. **وعلم** يعرف بالعلم الروحاني وعلم التأثير، يزعمون أنه معرفة روحانية النجوم والكواكب وتأثيرها في الأرض، ومن عليها بالأمراض والحروب والضيق والسعة والموت والحياة والسعادة والشقاوة بين الزوجين إذا عقد قرانهما عند اقتران كذا من النجوم والكواكب، ولهم في ذلك ما يسمونه بالطالع، ويعملون جدولاً بالحوادث التي ستحدث في العام كله من حوادث

(١) مسلم: ٢٢٣٠

عامة وخاصة. وهذا هو الدجل والكذب، ومن هذا القسم ما عمت به البلوى في مثل هذه الأزمنة، وشجعته المجلات الهابطة، وتعلق العوام به وهو قراءة الأبراج والاعتقاد فيها، مع نهي رسول الله ﷺ عن ذلك ، أخرج أبو داود من حديث زيد بن خالد الجهني أنه قال: صلى لنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية في إثر سماء كانت من الليل، فلما انصرف اقبل على الناس فقال: «هل تدرون ماذا قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال مطرنا بفضل الله وبرحمته فذلك مؤمن بي كافر بالكواكب، وأما من قال مطرنا بنوء كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكواكب» (١) .

- وإن اعتقد العبد أن النجوم مؤثرة فاعلة، وأنها هي التي تخلق الخير والشر، فقد أشرك شركًا أكبر؛ لأنه ادعى مع الله خالقًا. وإن جعلها سببًا يدعي به علم الغيب، واستدل بحركاتها وتنقلاتها وتغيراتها على أنه سيكون كذا وكذا؛ لأن النجم الفلاني صار كذا، مثل أن يقول: هذا الإنسان ستكون حياته شقاء؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، وهذا حياته سعيدة؛ لأنه ولد في النجم الفلاني، فقد اتخذ تعلم النجوم وسيلة لادعاء الغيب ، ودعوى علم الغيب محرمة لقوله

---

(١) أبو داود (٣٩٠٥) وحسنه الالباني.

تعالى : ﴿ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [١] .

✿ وإن اعتقدها سبباً لحدوث الخير والشر، أي إنه إذا وقـع شيء نسبه إلى النجوم، ولا ينسب إلى النجوم شيئًا إلا بعد وقوعه، فهذا شرك أصغر. كمن ينسب طلاقه لخروج الـنجم الفـلاني أو سعادته لولادته في البرج الفلاني [٢] .

ويحرم على المؤمن الذهاب إلى أي واحد من هؤلاء حتى لـو كان لمجرد السؤال ولو لم يصدقه؛ لما رواه مسلم أن النبي ﷺ قال: «من أتى عرّافًا فسأله عن شيء لم تقبل له صلاة أربعين ليلـة» [٣] فأثبت رسول الله ﷺ العقوبة على مجرد الـسؤال ، فـدل علـى الحرمة.

فإن سألهم وصدقهم، كان على خطر عظيم، وقد حكم بعض أهل العلم بكفر من سألهم وصدقهم، لقوله ﷺ «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى كاهنًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد» [٤] .

---

(١) سورة النمل: ٦٥.

(٢) القول المفيد (٢/ ١٢٥) .

(٣) أبو داود (٣٩٠٦) وصححه الألباني .

(٤) البزار (٣٥٧٨) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٤١).

فحاشاك وأنت تقرأ الأحاديث الواردة في النهي الأكيد، والوعيد الشديد أن تذهب لهم، وأن تطرق أبوابهم، وهم المستعينون بالشياطين، الموالون لهم.

وإليك بعض العلامات التي يُعرف بها السحرة:

١- أن يسأل المريض عن اسمه واسم أمه.

٢- أن يأخذ أثرًا من آثار المريض (ثوب- منديل- فانيلة...).

٣- أحيانًا يطلب حيوانًا بصفات معينة ليذبحه، ولا يذكر اسم الله عليه، وربما لطخ بدمه أماكن الألم من المريض، أو يرمي به في مكان خَرِب.

٤- كتابة الطلاسم.

٥- تلاوة العزائم والطلاسم غير المفهومة.

٦- إعطاء المريض (حجابًا) يحتوي على مربعات، بداخلها حروف وأرقام.

٧- يأمر المريض بأن يعتزل الناس فترة معينة في غرفة لا تدخلها الشمس، ويسميها العامة (الحِجْبة).

٨- أحيانًا يطلب من المريض ألا يمس ماءً لمدة معينة غالبًا ما تكون أربعين يومًا.

٩- يعطي المريض أشياء يدفنها في الأرض.

١٠- يعطي المريض أوراقًا يحرقها ويتبخر بها.

١١- أحيانًا يخبر الساحر المريض باسمه، واسم بلده، ومشكلته التي جاء من أجلها.

١٢- يكتب للمريض حروفًا مقطعة في ورقة، أو في طبق، ويأمر المريض بإذابته وشربه [(١)].

وإن ابتليت بالسحر، فاحذر أن تذهب لساحر كي يحله عنك، فإن حل السحر عن المسحور بسحر مثله حرام، على الراجح من أقوال أهل العلم [(٢)]، وقد سئل رسول الله ﷺ عن النشرة فقال: (هو من عمل الشيطان) [(٣)].

---

(١) الصارم البتار في التصدي للسحرة والاشرار لوحيد عبدالسلام بالي (٧٧).

(٢) إلى هذا القول ذهب الحافظ ابن حجر، وابن أبي العز الحنفي وغيرهم من العلماء والأجلاء. ينظر: فتح الباري (١٠/٢٨٧)، شرح العقيدة الطحاوية (٥٠٥).

(٣) أبو داود (٣٨٦٨) وصححه الألباني.

وقد تقدم بك حرمة الذهاب للسحرة والكهان والعرافين ونحوهم ممن يدعون علم الغيب، ويستعينون بالجن، وأن من آتاهم وصدقهم فقد كفر بما أنزل على محمد، وفي إتيانهم والسكوت عنهم، ودفع الأموال لهم إقرار لهم على ما هم عليه من الكفر والضلال، وإعانة لهم على بث شرورهم، ونشر فسادهم، وإغراء غيرهم باتباع طريقتهم وانتحال سبيلهم، وبذلك يبلغ أمرهم، ويكثر اتباعهم ويعظم خطرهم، وتشيع فتنتهم، ويصعب قمعهم، وقد نهانا الله عن التعاون على الإثم والعدوان.

فإن قلت: فما الحل؟ قلت: عليك بالنُّشْرة الشرعية لا الشركية، وهي حل السحر عن المسحور بالرقى والتعوذات والدعوات الصحيحة المأثورة، وشروط الرقية الشرعية:

١/ أن تكون بكلام الله تعالى، أو بأسمائه وصفاته أو بالأذكار والأدعية الصحيحة عن رسول الله ﷺ.

٢/ أن تكون بلسان عربي.

٣/ الاعتقاد بأن النشرة والرقى ونحوها لا تؤثر بذاتها وطبعها، بل بتقدير الله تعالى ومشيئته، وأنها سبب لحصول الشفاء من عند الله تعالى.

قال صديق حسن خان : «وكل عمل ودعاء يطرد المرض والداء، وينفع من الأسقام والأدواء، يصدُق أنه نشرة، يجوز الانتفاع به، إن كان من ألفاظ القرآن والسنة، أو من المأثور من السلف الصالح، الخالي عن أسماء الشرك وصفاته، باللسان العربي، وإلا كان حرامًا وشركًا» [(١)] .

ولا يفوتني أن أذكرك أن تحرص على تحصين نفسك وأهل بيتك من السحر وأعمال المشعوذين، فإن الدفع أسهل من الرفع، وقد ذكر العلماء أسبابًا وطرقًا شرعية للوقاية من السحر قبل وقوعه أذكر لك منها:

١/ الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان ونزغاته وهمزاته وخطراته كما أمر تعالى بذلك:﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [(٢)] ، وفي قوله:﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [(٣)] .

٢/ تقوى الله، وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله تعالى تولى الله حفظه، ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿ إِن تَمْسَسْكُمْ

(١) الدين الخالص (٢/٣٤٣).

(٢) سورة الأعراف: ٢٠٠.

(٣) سورة المؤمنون: ٩٧، ٩٨

حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ۖ وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ﴾[1] وصح عنه ﷺ أنه قال: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»[2].

٣/ التوبة النصوح إلى الله تعالى من جميع الذنوب التي سلطت عليك أعداءه، فإن الله تعالى يقول: ﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ وليس في الوجود شر إلا الذنوب وموجباتها، فإذا عوفي المرء من الذنوب عوفي من موجباتها.

٤/ التوكل على الله تعالى، ومن توكل على الله فهو حسبه، والتوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعداوتهم؛ لأن الله تعالى هو حسبه أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه، فلا مطمع فيه لعدوه الإنسي أو الجني، قال بعض السلف: جعل الله لكل عمل جزاء من جنسه، وجعل جزاء التوكل عليه نفس كفايته لعبده فقال: ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ﴾.

(١) آل عمران: ١٢٠.

(٢) صحيح سنن الترمذي (٢٥١٦).

٥/ كثرة الصدقة والإحسان إلى الناس ، فإن لذلك تأثيرًا عجيبًا في دفع البلاء والسحر والحسد عن المتصدق والمحسن؛ لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً، وما على المحسنين من سبيل.

٦/ الإكثار من قراءة القرآن، وتلاوته آناء الليل وأطراف النهار، وقراءة الأذكار والأوراد والأدعية المأثورة في ذلك، فهي بحق الحصن الحصين والسد المتين أمام مآرب الشيطان ونزعاته وهمزاته، «فالقلب إذا كان ممتلئًا من الله، مغمورًا بذكره، وله من التوجهات والدعوات والأذكار والتعوذات وردٌ ولا يُخِلُّ به يطابق فيه قلبه ولسانه، كان هذا من أعظم الأسباب التي تمنع إصابة السحر له، ومن أعظم العلاجات له بعدما يُصيبه. وعند السحرة: أن سحرهم إنما يتم تأثيره في القلوب الضعيفة المنفعلة، والنفوس الشهوانية التي هي معلقة بالسفليات، ولهذا فإن غالب ما يؤثر في النساء والصبيان والجهال وأهل الهوى، ومن ضعُف حظه من الدين والتوكل والتوحيد، ومن لا نصيب له من الأوراد الإلهية والدعوات والتعوذات النبوية»[1] .

ومن تلك السور والآيات والأذكار التي تنفع في دفع السحر قبل وقوعه بإذن الله تعالى:

---

(١) زاد المعاد (٤/١٢٧).

١- قراءة : ﴿ قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ، والمعوذتين في الصباح والمساء ثلاث مرات فإنها تكفي من كل شيء[١] .

٢- قراءة سورة البقرة، ففي الصحيح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تُقرأ فيه سورة البقرة»[٢] .

٣- قراءة آية الكرسي، فإن من قرأها حين يأوي إلى فراشه لم يزل عليه من الله حافظ، ولا يقربه شيطان حتى يصبح[٣] .

٤- قراءة الآيتين الأخيرتين من سورة البقرة، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه»[٤] أي كفتاه من الشيطان.

---

(١) رواه الترمذي (٣٥٧٥) عن عبدالله بن خبيب وقال: حديث حسن صحيح غريب.

(٢) رواه مسلم في صحيحه (٥٣٩/١).

(٣) رواه البخاري في صحيحه معلقًا مجزومًا به (٢٣١١) ووصله النسائي في عمل اليوم والليلة (٩٥٩) والبيهقي في (الدلائل) (١٠٧/٧) وإسناده صحيح، وانظر (تغليق التعليق) (٣٩٦/٣).

(٤) أخرجه البخاري (٥٠٠٩) ومسلم (٥٥٤/١).

٥- قول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، في كل يوم مائة مرة، فإن من قالها كانت حِرزًا من الشيطان في يومه ذلك [١].

٦- المداومة على الأوراد الخاصة بأذكار الصباح والمساء [٢].

٧ - أكل سبع تمرات من تمر العجوة في صبيحة كل يوم، فقد صح عنه ﷺ أنه قال: «من تصبّح بسبع تمرات عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر» [٣].

٨ - وهو الجامع لذلك كله وعليه مدار هذه الأسباب، وهو تجريد التوحيد والترحل بالفكر من الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن هذه الأسباب بمترلة حركات الرياح، وهي بيد محركها وفاطرها وبارئها، ولا تضر ولا تنفع إلا بإذنه، فهو الذي يُحصن عبده بها، وهو الذي صرفها عنه وحده لا أحد سواه، قال تعالى: ﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٣) ومسلم (٤/٢٠٧١).
(٢) انظر : حصن المسلم لسعيد بن علي القحطاني .
(٣) أخرجه البخاري (٥٧٦٩) والعجوة من تمر المدينة.

يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ (١) وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس – رضي الله عنهما – : «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضروك لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك» (٢) .

٦ – عليك بالفأل:

لقد كان رسول الله ﷺ يحب الفأل، ويعجبه؛ وما ذاك إلا لأنه مقوٌّ للعزائم، فاتح لأبواب الخير. والمتفائل واسع النظرة، فسيح الصدر، عالي الهمة، موفور النشاط، فتفاؤله يزيد قوة إلى قوته، فيكون أقدر على الجد، وحسن الإنتاج، ومقابلة الصعاب.

والتفاؤل يضيء الحياة، ويعين على احتمال متاعبها، فالعمل الشاق العسير يَخِف حمله بالنفس المشرقة المتفائلة. ومن النعم الكبرى على الإنسان أن يعتاد النظر إلى الجانب المشرق في الحياة لا المظلم منها، وأن يمنح القدرة على السرور والتفاؤل.

---

(١) سورة يونس: ١٠٧

(٢) الترمذي، وصححه الألباني (٢٥١٦) .

واعلم – شرح الله صدرك – أن نقيض الفأل الطِّيرة، وقد حذر الشرع منها، ونهى عنها، وأصل الطيرة مأخوذ من الطير؛ لأن العرب كانت تزجر الطير وترسلها، وتتفاءل أو تتشاءم بها، ثم تُوْسِع في إطلاقها على كل ما يتوهم أنه سبب في لحاق الشر، سواءً كان مسموعًا، أو مرئيًا، وسواء كان طيرًا أو حيوانًا أو جمادًا أو زمانًا أو مكانًا أو شخصًا أو نباتًا أو عددًا أو نحو ذلك.

ومن الأدلة المحرمة للطيرة قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [1] وقال في سورة يس عن أصحاب القرية التي جاءها المرسلون: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ۝١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ۝١٩ ﴾ [2] وفي الصحيحين ومن حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «لا عدوى ولا طيرة، وأحب الفأل الصالح» [3].

---

(١) الأعراف: ١٣١ .

(٢) سورة يس: ١٨-١٩.

(٣) البخاري (٥٧٥٤)، مسلم (٢٢٢٣).

ولهما عن النبي ﷺ «لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل» قال: «قيل: وما الفأل؟» قال: «الكلمة الطيبة» [١] وعن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ «الطيرة شرك» ثلاثًا [٢] . ولأحمد من حديث ابن عمرو عن رسول الله ﷺ «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك» [٣] وفي مسلم من حديث معاوية بن الحكم قال «يا رسول الله ! ومنا أناس يتطيرون. فقال: «ذاك شيء يجدونه في صدورهم، فلا يصدهم» [٤] .

فأخبر ﷺ أن تأذيه، وتشاؤمه بالتطير إنما هو في نفسه وعقيدته، لا في المتطير به، فوهمه، وخوفه، وإشراكه هو الذي يطيره، ويصده، لا ما رآه وسمعه، فأوضح ﷺ الأمر لأمته، وبيّن لهم فساد الطيرة، ليعلموا أن الله سبحانه لم يجعل لهم عليها علامة، ولا فيها دلالة، ولا نصبها سببًا لما يخافون منه، ويحذرونه؛ لتطمئن قلوبهم، ولتسكن نفوسهم إلى وحدانية الله.

---

(١) البخاري (٥٧٧٦) ، مسلم (٢٢٢٤).

(٢) صحيح سنن أبي داود (٣٩١٠).

(٣) أحمد (٧٠٤٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٢٦٤).

(٤) مسلم (٥٣٧).

وقال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير . فقال ابن عباس: لا خير ولا شر. فبادره ابن عباس بالإنكار عليه؛ لئلا يعتقد أن له تأثيرًا في الخير والشر.

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر، فصاح غراب، فقال الرجل: خير ، فقال طاووس: وأي خير عنده؟ والله لا تصحبني [١].

واعلم وفقك الله – أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين:

١/ أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غيره.

٢/ أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخيل، فأي رابطة بين هذا الأمر، وبين ما يحصل له، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد؛ لأن التوحيد عبادة واستعانة قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ .

والمتطير لا يخلو من حالين:

الأول: أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

(١) مفتاح دار السعادة (٢/٢٣٥).

الثاني: أن يمضي لكن في قلق وهم وغم يخشى من تأثير هذا المتطير به وهذا أهون. وكلاهما نقص في التوحيد، وضرر على العبيد[١] .

ومن صور الطيرة التي انتشرت هذه الأيام:

* إرسال الطير قبل الإقدام على الأمر، فإن ذهب يمنة أو أماماً تفاءل، ويسمى العرب الطير إن أخذت ذات اليمين سانحاً، وأماماً ناطحاً، وأمّا إن ذهب ذات الشمال فهو البارح، وإلى الخلف القعيد تشاءموا، ولم يمضوا .

* ومن أعظم ما يتطير به الناس الغراب، فإن رأوه في سفرهم رجعوا أو مضوا وهم كارهون .

* ويتطير الناس بالهامة وهي البومة ولذا جاء في نص الحديث «ولا هامة» بل بلغ الأمر ببعضهم أن يترك البيت، ويطلق الزوجة إن رأى في البيت بومة .

* كما إن بعض الناس يتطير ببعض الأسماء، وذوي العاهات، فإذا رأى ياسميناً تطير، وقال: يأسٌ ومَيْنٌ، وإذا رأى سوسنة أو سمعها قال: سوء يبقى سنة، وإذا خرج من داره فاستقبله أعور أو

---

(١) القول المفيد (٢/ ١٠٢) .

أعمى أو أشل أو صاحب آفة تطير به، وتشاءم من يومه .

* ويتطير آخرون بالأيام والشهور حيث يتشاءم بعضهم بيوم الأربعاء، وبعضهم يتشاءم بالزواج ليلة الأحد، ويقول: ليلة الأحد لا يريد أحد أحداً. ومن التطير بالأيام تطير بعض الناس باليوم الحادي والعشرين من الشهر؛ حيث يزعمون أنه نكد على المسافر، أو مؤذن بموته. ومن ذلك تطيرهم بكنس دار المسافر يوم سفره زاعمين أن ذلك سبب هلاكه .

ومن التشاؤم بالشهور تشاؤم أهل الجاهلية بشهر صفر، وبشهر شوال في النكاح خاصة .

* وبعض الناس يتشاءم بالأرقام، ومن المعروف عند الغربيين خاصة تشاؤمهم بالرقم (١٣) ولذلك حذفته بعض شركات الطيران من ترقيم المقاعد، وحذفته بعض العمارات من أرقام الشقق.

* فتح الآي: وهذا نوع من التطير، حيث يفتح أحدهم المصحف فيتفاءل، أو يتشاءم بأول آية يراها، فإذا رأى آية وعيد وعذاب تشاءم، وإذا رأى آية رحمة أو جنة تفاءل .

* التطير بالمصائب والبلايا، فمن الناس من إذا أصيب بمصيبة أو بلية مهما كان نوعها من مرض، أو خسارة، أو نحو ذلك ظن أنها

قاصمة ظهره، وأنها ضربة لازب لن تبارحه .

وإذا أصيب بعض ولده بمرض ما ظن أن ذلك المرض لن يشفى منه، وقام في قلبه شعور أن الأيام ستسود في وجهه، وأن العيش سيضيق عليه، وأن الشفاء بعيد كل البعد عنه، والعاقل الرشيد يعلم أن قدر الله نافذ، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، وأن الذي ابتلى بالضر قادر على كشفه .

* ومن الناس من إذا رأى ما عليه الباطل من صولة وجولة، وما عليه أهل الحق من ضعف وتخاذل وحطة وذل وتبعية للأعداء تطير من ذلك، وتشاءم من المستقبل، ويأس من إصلاح الأحوال، وظن أن الباطل سيستمر، وأن الحق وأهله إلى زوال واضمحلال. وهذا المسلك جد خطير، وهو مما يعتري النفوس التي ضعف إيمانها، وقل يقينها، وهو مخالف لما جاء به الشرع المطهر، ومناقض لما أخبر الله به من أن العاقبة للتقوى والمتقين، فمن ظن تلك الظنون فقد ظن بربه السوء، لأن الله كتب عنده في الأزل أن جنده هم الغالبون، وهم المنصورون، وأن الأرض يرثها عباده الصالحون. وما يشاهد اليوم من تسلط الكفار واستعلائهم فإنما هو استعلاء استثنائي، واستدراج وإملاء من الله لهم، وعقوبة للأمة المسلمة، بسبب بعدها عن دينها «ولن يجعل الله الكافرين على المؤمنين سبيلاً».

* وإن شعرت أيها المبارك بشيء من الطيرة، فتذكر تحذير رسول الله ﷺ منها، وأحسن الظن بالله، وتوكل على الله؛ لأن من توكل عليه، وفوض أمـــره إليه أمده بقـــوة، وعزيمة، وصبر، وصرف عنه الآفات وفي الحديث: «الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهبه بالتوكل»[(١)]، وقبل إقدامك على الأمر عليك بالاستخارة .

وإن وقعت في الطيرة، فعليك بكفارتها، أخرج الإمام من حديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « من ردته الطيرة من حاجة فقد أشرك» قالوا: يا رسول الله ما كفارة ذلك؟ قال أن يقول أحدهم: «اللهم لا خير إلا خيرك، ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك»[(٢)].

فإن قلت: فما توجيه حديث رسول الله ﷺ : «الشؤم في ثلاثة: المرأة والفرس والدار»[(٣)].

فقد أجاب العلماء عنه بالآتي :

١ / قالت طائفة : شؤم الدار ضيقها ومجاورة جار السوء،

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٩١٠) .

(٢) أحمد (٧٠٤٥)، وصححه الألباني في إصلاح المساجد (٤٢) .

(٣) البخاري (٢٠٩٩)، مسلم (٢٢٢٥) .

وشؤم الفرس ألا يغزى عليها في سبيل الله، وشؤم المرأة عدم ولادها، وسلاطة لسانها، وسوء خلقها، ودليل ذلك قوله ﷺ : «سعادة ابن آدم في ثلاثة، ومن شقاوة ابن آدم ثلاثة : من سعادة ابن آدم المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، ومن شقاوة ابن آدم المرأة السوء، والمسكن السوء، والمركب السوء»[(١)] .

٢/ وقالت طائفة : أن المرء إن سكن دار ثم تركها، أو امرأة كره صحبتها، أو دابة لم يطمئن لها، شُرِع له مفارقة الجميع بالبيع والطلاق ونحوه، ولا يقيم على الكراهة والتأذي، فيقع في الطيرة المنهي عنها، فيكون الحديث من باب سد الذرائع، وحسم مادة الشرك كحديث: «فر من المجذوم فرارك من الأسد» .

٣/ قالت طائفة : ليس في الحديث إثبات الطيرة التي نفاها، وإنما غايته أن الله تعالى قد يخلق منها أعياناً مشؤومة على من قاربها، وسكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها من شؤم ولا شر. وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولداً مباركاً يريان الخير على وجهه، ويعطي غيرهما ولداً مشؤوماً نذلاً يريان الشر على وجهه. وكذلك ما يعطاه العبد من ولايه أو غيرها فكذلك الدار، والمرأة، والفرس .

---

(١) أحمد (١٤٤٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٩١٤).

والله سبحانه خالق الخير والشر والسعود والنحوس، فيخلق بعض هذه الأعيان سعوداً مباركة، ويقضي سعادة من قارنها، وحصول اليُمْن له والبركة .

ويخلق بعضها نحوساً يتنحس بها من قاربها، وكل ذلك بقضاء الله وقدره، كما خلق الأسباب، وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة، فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة، ولذذ بها من قارنها من الناس، خلق ضدها، وجعلها سبباً لإيذاء من قارنها من الناس .

والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس، فكذلك في الديار والنساء والخيل فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر[(١)] .

٧ – احذر هذه الألفاظ :

سأشير لك في الختام على ألفاظ احرص على تجنبها، فإنها تضر توحيدك :

١ – الحلف بغير الله كالحلف بالنبي أو الأمانة أو الكعبة أو حياة فلان، وغير ذلك أخرج أبو داود من حديث ابن عمر أنه سمع رجلاً يقول: لا والكعبة. فقال ابن عمر: لا تحلف بغير الله، فإني

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٥٧) .

سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك »[١].

وجاء عن رسول الله ﷺ : « من حلف بالأمانة فليس منا»[٢].

وفي لفظ لأحمد « من حلف بشيء دون الله تعالى فقد أشرك».

والحلف بغير الله شرك أصغر إن لم يقصد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله، وجرى على اللسان دون قصد للحلف، فإن قصد تعظيم المحلوف به كتعظيم الله فهو شرك أكبر.

وكفارة من حلف بغير الله أن يقول: لا إله إلا الله، ويعزم على عدم العود إلى الحلف بغير الله. وفي سنن أبي داود من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «من حلف فقال في حلفه: واللات، فليقل: لا إله إلا الله»[٣].

٢/ قول : ما شاء الله وشت، وأعوذ بالله وبك، ولولا الله وفلان، وقد جاء يهودي إلى رسول الله ﷺ فقال: إنكم تشركون تقولون: ما شاء الله وشئت. وتقولون: والكعبة. فأمرهم النبي ﷺ:

---

(١) صحيح سنن الترمذي (١٥٣٥) .

(٢) أحمد (٣٢٨) .

(٣) صحيح سنن أبي داود (٣٢٣٥) .

إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: ورب الكعبة، ويقولون: ما شاء الله ثم شئت[١].

وعن ابن عباس قال رجل للنبي ﷺ : ما شاء وشئت. قال: «أجعلتني لله نداً، ما شاء الله وحده »[٢].

ولا يجوز قول ما شاء الله ثم شئت إلا في حق الحي الحاضر الذي له قدرة، وسبب في حصول الشيء، وأما الأموات الذين لا إحساس لهم بمن يدعوهم، ولا قدرة لهم على نفع ولا ضر، فلا يقال في حقهم شيء من ذلك .

وحكم هذه اللفظة من الشرك الأصغر إن جرت على لسان صاحبها دون اعتقاد مساواته لله، أما إن اعتقد أن المخلوق مساو للخالق فقد أشرك شركاً أكبر .

٣/ احذر – وفقك الله – من شكوى الزمان، وسبّ الدهر، وهذا يكثر عند الشعراء، ومن ذلك.

---

(١) صحيح سنن أبي داود (٣٢٤٧) .

(٢) صحيح الأدب المفرد (٧٨٣) .

تبكي خناس على صخر وحق لها

إن رابها الدهر، إن الدهر ضرّار

قول أبي تمام :

أعوام وصل كاد ينسى طيبه

ذكر النوى، فكأنها أيام

ثم انبرت أيام هجر أعقبت

نحوي أسى، فكأنها أعوام

وسب الدهر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ – أن يقصد الخبر المحض، مثل أن يقول الإنسان : هذا يوم حار، أو يوم بارد، أو يوم عصيب، ومنه قول لوط عليه السلام ﴿ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ [١] فقوله مجرد خبر محض .

٢ – أن يسب الدهر أو الزمان على أن الدهر هو الفاعل لهذه المصائب، أو أن الزمان هو الذي يأتي بالخير والشر، فهذا شرك أكبر، لأنه اعتقد أن مع الله خالقاً، وقوله كقول الدهريين: ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ﴾ [٢] .

---

(١) البخاري (٤٥٤٩) .

(٢) الجاثية (٢٤) .

٣ – أن يسب الزمن أو الدهر مع اعتقاده أن الفاعل هو الله تعالى، وهذا محرم، وليس شركاً؛ لأن حقيقة سبه تعود إلى الله سبحانه؛ لأن الدهر خلق مسخر من خلق الله منقاد لأمره، مذلل لربه، والله هو الذي يصرف الدهر. وفي الحديث القدسي: «يؤذيني ابن آدم يسب الدهر، وأنا الدهر؛ أقلب الليل والنهار»[1].

وفي الختام :

إذا أمرك الله ورسوله ﷺ بأمر، ونهاك الله ورسوله عن ضده، فاحذر أن تكون مخالفاً لهما، فإن ذلك يفضي إلى المشاقة والمحادة، وهذا أصلها واشتقاقها، ولا تستسهل هذا فإن مبادئه تجر إلى غايته، وقليله يدعو إلى كثيرة، وكن على أمر الله ورسوله ﷺ ، وإن كان الناس كلهم ضدك، فإن لذلك عواقب هي أحمد العواقب وأفضلها، وليس للعبد أنفع من ذلك في دنياه قبل آخرته .

وأكثر الخلق إنما يكونون في الجانب المضاد، ولاسيما إذا قويت الرغبة والرهبة، فهناك لا تكاد تجد أحداً في الجانب الذي فيه الله ورسوله، بل يعده الناسُ ناقص العقل سيء الاختيار لنفسه، وربما نسبوه إلى الجنون، وذلك من مواريث أعداء الرسل، فإنهم نسبوهم إلى الجنون؛ لما كانوا في شق وجانب، والناس في شق وجانب آخر.

---

(١) مسلم (٢٢٤٦) .

ولكن من وطن نفسه على ذلك، فإنه يحتاج إلى علم راسخ بما جاء به الرسول يكون يقيناً له لا ريب عنده فيه، وإلى صبر تام على معاداة من عاداه، ولوم من لامه. ولا يتم له ذلك إلا برغبة قوية في الله والدار الآخرة، بحيث تكون الآخرة أحب إليه من الدنيا وآثر عنده منها، ويكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما .

ولا تستصعب مخالفة الناس والتحيز إلى الله ورسوله ولو كنت وحدك؛ فإن الله معك يحفظك ويرعاك، ويؤيدك، وينصرك، وإنما امتحن يقينك وصبرك . وأصلح ما مضى بالتوبة، وما تستقبل بالامتناع والعزم والنية، وتذكر قول الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ .

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾.

اسأل الله لك التوفيق والسداد والرشاد، والثبات، وأن يعصمك من كيد الشيطان وأوليائه، وأن يصرف عنك السوء والفحشاء، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأهل بيته وصحبه أجمعين.

الفهرس

